السنة التاسعة عشرة   العدد ٢ شباط   ١٩٢١

المشرق

احوال الكنيسة في العام المنصرم

نظر إجمالي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

هذا ملحق بما نُشر في العدد السابق عن احوال الدول والسياسة الدينيَّة في السنة المنصرمة . ولا يُخفى ما في هذا البحث من عظم الشأن لمقام الكنيسة الرفيع في العالم بل هي قُطب العالم وقبلتهُ لولاها لتزعزع على اركانهِ وتضعضع في وجدانهِ

١ رومية ومبرها الروماني

قد استلفتت رومية في كلّ آن انظار العالم الدينيّ اليها ولعلّها بعد هذه الحرب الكونيَّة زادت رفعةً بإزاء عموم البشر ومرقعاً في قلوب الاقارب والاجانب. ولا غرو فانَّهُ قد رُمز عنها بذلك الجبل الشامخ الذي تجري اليهِ الامم والشعوب قائلين : « هلمُّوا نصعد الى جبل الربّ وبيت اله يعقوب وهو يعلّمنا طرقهُ فنسلك في سُبُلهِ » (ميخا ٤ : ١–٣). والحقّ يقال انَّهُ لما كانت الدول المختلفة في عراك وقتال تسيل دماؤها انهاراً اقام سجين الفاتيكان وحدهُ ساعياً في الصلح ومفرغاً كنانة الجهد في تخفيف ويلات الحرب وذلك ببراءاتهِ التي وجّهها الى الدول في اثناء الحرب وبعدها حتى انهُ استحقَّ مرّتين جائزة نوبل الممنوحة لاكبر روّاد السلام وشهد لهُ بتفانيهِ في تحقيق نواياهُ جلالة ملك انكلترة الحالي بقولهِ للكردينال غَسكواي : ليس احدٌ خرج فائزاً من هذه الحرب كما خرج الحبر الاعظم

ولو اردنا ان نعدّد كلّ مآثر الاب الاقدس بندكتوس الخامس عشر في سبيل المواخاة بين الامم ومساعدة البؤسين لضاق بنا المجال. وكفى بنا ان نذكر براءته الصادرة في ٢٣ ايار الاخير الموجهة الى كافة الدول يحثها على السعي بأسباب الصلح واستئصال جذور العدوان لتعود اوربة الى سكينتها وعمرانها

ومن اجلّ مساعي قداسته حنانهُ على الصغار الايتام والمتضورين جوعاً في عدة بلاد كالنمسة وروسيّة والمجر وانحاء البلقان فاستنهض همّة المحسنين في العالم ونشر في ذلك الرسالات والمناشير فاجاب اهل المروءة وارباب الخير الى دعوته فكان ما ورد اليه من المبالغ نحو ١٥ مليوناً من الفرنكات اضاف اليها قداسته مئة الف فرنك من مالهِ. فالله وحدهُ يعلم كم ضمّد من الجراحات وكم نشّف من الدموع

وكما سعى قداسته بإسعاف الاحداث كذلك اهتمّ بامر المهاجرين لينالوا في المهجر ما يؤمّلونهُ من الراحة والمعاش مع العناية بشؤونهم الدينيّة والادبيّة وكتب في ذلك الى المتولّين مشاريع المهاجرة والى ارباب الكنيسة في مواطن المهجر

ولم يقصر إمام الاحبار نظرهُ على الكاثوليك بل ربّما سعى في مساعدة غيرهم. لنا في ذلك شاهد قريب في جالية اليهود الذين التجأوا من سوريّة وفلسطين في اوائل الحرب الى كورسكا فسكنوا بَسْطية فحرّر قداسته الى راعي المدينة ليقوم بخدمتهم ففعل بكل غيرة ولمّا عاد اولئك البؤساء الى وطنهم قام رئيسهم الربّي سليمان بن شمعون فاثنى اطيب الثناء على اريحيّة الحبر الاعظم وممثليهِ في الجزيرة معلناً بشكر جميع ابناء ملّته لانعطاف الكرسي الرسولي وحنوّه الجميل الخالي عن كل غرض نحو كل المكروبين

فلا مراء انّ كل هذه الاعمال الشريفة المنزّهة عن الغرض تسبي الى ابي المؤمنين قلوب رؤساء الشعوب. فانّ معظم الدول بعد الحربّ العموميّة وجّهت الى رومية من يمثّلها لدى الڤاتيكان امّا بصفة سفير او معتمد وامّا بصفة نائب ومفوّض. والامل معقود عن قرب بتجديد العلاقات بين فرنسة والكرسي الرسولي بعد ان قُطعت بطياشة الندوبين الفرمسون فلحق فرنسة بسبب انفصالها اضرارٌ جمّة اقرّ بها اعداء الكنيسة نفسهم. ومن اللوائح السارّة المنبئة بِرتق الفتق قريباً ما تبادلهُ الحبر الاعظم ورئيسا الجمهوريّة الاخيران من عبارات الانس والوداد

وقد استبشر عموم الفرنسويين بوشك فوز آمالهم اذ رأوا ما خوّل الحبر الاعظم وطنهم من الشرف بتثبيت القديستين جاندرك ومرغريت ماري ألاكوك والطوباويّة لوغرا منشئة اخوات المحبّة فأُقيمت في عاصمة الكثلكة حفلات شائقة كان لها صدى انعكاس في قلوب كل ابناء فرنسة فطربوا لها اي طرب وكاد العالم باجمعهِ يشاركهم في افراحها ·

ولن ينسى الشرقيّون ما نسوا افضالَ بندكتوس الخامس عشر وانعطافهُ اليهم بما انشأهُ في امّ المدائن من المشروعات لتهذيب اكليرسهم وما ارسلهُ من الإحسانات الى المنكوبين منهم وخصوصاً الارمن · ومن نعمهِ السابغة تقليدهُ للقديس افرام السريانيّ رتبة ملفان للكنيسة جمعاء فاكتسب بذلك شكر اهل الشرق ولاسيَّما الطوائف الكاثوليكيَّة السريانيَّة والمارونيَّة والكلدانيَّة التي تفتخر بهذا النابغة الجليل وتعتبرهُ كأكبر رُسلها

٢ اوربة الكاثوليكيَّة

﴿فرنسة﴾ هي الدولة التي عُرفت في كلّ اطوار تاريخها كابنة الكنيسة البكر فعبثاً سعى العدوّ بزرع زوانهِ في ارضها لا تزال تربتها الجيّدة تغلّ الغلال الصالحة · وقد أخصبت هذه الحرب الاخيرة تلك التربة اذ سقتها بدماء ابطالها الزكيَّة · وقد دلَّ على تلك النهضة المبهجة ما شوهد في انحاء فرنسة من التقى وتعزيز روح الدين

ثمَّ ان الحكومة عرفت لارباب الكنيسة فضلهم وأعلنت بشهامتهم وقد انصفت حتَّى الرهبان الذين اقفلت اديرتهم وشتَّتت شملهم فمنحتهم ما استحقوهُ من الامتيازات · وكان بودّنا ان نذكر كل الكهنة والاكليريكيين الذين خصَّتهم باوسمتها وليس لدينا قائمتها وانما نعلم انها واسعةٌ جداً · والَّا وقفنا على لائحة اليسوعيين الذين خدموا دولتهم في معامع هذه الحرب سواء كانوا كضبَّاط او جنود ام بصفة خدَمة الدين او ممرّضين بلغ عددهم ٨٤١ راهباً ومعظمهم في شرخ شبابهم فمات منهم في ساحة الشرف او خدمة الوطن ١٦٣ · امَّا الحائزون على الامتيازات الشرفيَّة فهم اوَّلاً ٧٠ راهباً نالوا صليب جوقة الشرف (Croix de la Légion d'honneur) · ثانياً ٤٨ غيرهم مُنحوا النوط العسكري (Médaille militaire) · ثالثاً ٣٥٠ آخرون

اصابوا وسام صليب الحرب (la Croix de guerre.) بعد ان أثنى قوّادهم على فروسيّتهم امام الجنود (Citations) ٥٩٠ مرّةً · ورابعاً ٢٢ ايضاً تشرّفوا باوسمة مختلفة اربعة منهم لخدمتهم المطوّنين · وثلثة لمساعدتهم الجنود المراكشيّة والتونسيّة و ١٥ منحهم الحلفاء اوسمتهم

فقس على ذلك بقيّة الاكليروس الفرنساويّ القانوني والعالمي وفي مقدّمتهم الكرادلة الفرنسويون والاساقفة الذين لم يألوا جهدهم في مساعدة دولتهم بضروب الوسائل فأثنى الجميع على مروّتهم وتفانيهم في سبيل الوطن وقد مرّ لنا ذكر ما اطرأهم بهِ من المديح رئيس الولايات المتحدة السابق المسيو روزفلت

ومن الادلّة على انتعاش روح الدين في فرنسة الحفلات التي أُقيمت اكراماً للقديسة جان درك في كل انحاء الدولة اهتزت لها البلاد طرباً فأنعشت في الصدور عواطف التقى وشواعر الايمان · وكذلك الطواف بالقربان الاقدس في يوم عيد الجسد استُؤنف في امكنة عديدة · امّا باريس فانّ ٧٥ مندوباً من مجلس الأمة حضروا في ١١ حزيران القداس الحبري في كنيسة مونمرتر ببزّتهم الرسميّة وفي ١٣ منهُ اجتمع ١٥ جنرالاً وثلثة من امراء البحر مع عدد لا يُحصى من اعيان العاصمة ليشوا في طواف القربان الاقدس في مدرسة شارع البريد القديمة (Ecole de la rue des Postes)

وقد شمل الاسف فرنسة على وفاة الكردينال اميت رئيس اساقفة باريس في ٢٦ آب ·على انّ ما اظهرت لهُ الجماهير المجمهرة من الاكرام بعد وفاته يُعدّ كانتصار للدين وقد مشى في حفلة جنازته وزراء الدولة وقوّاد العسكر واشراف العاصمة · وقد تلطّفت نوعاً هذه الرزيّة بتعيين خلفهِ نيافة الكردينال دوبوا الذي اجمع الكلّ على عظم فضلهِ وحظينا في بيروت بمشاهدته في شتاء السنة المتصرمة

وقد عقد الكاثوليك في فرنسة عدّة مؤتمرات كانت كلّها دلائل ناطقة على نشاط الفرنسويين في خدمة ايمانهم ·نخصّ منها بالذكر مؤتمر رسالة الصلاة في اواسط نيسان حضره نيّف ومئة مدير لذلك المشروع العظيم الذي يتناول ٧٥،٠٠٠ مركزاً ويقوم بخدمته ٢٠ نشرة من رسالات قلب يسوع تُطبع في اكثر اللغات الشائعة من جملتها الرسالة العربيّة التي أُنشئت في العام الماضي في كليّتنا فراجت ايّ رواج

﴿ ايطالية ﴾ صار للكاثوليك الايطاليين في دار الندوة حزبٌ معدود يبلغ ١٠٠ نائب يعضدون الحكومة في معاكستها لحزب الاشتراكيين

يستعدُّ الايطاليون للاحتفال بتذكار المئة السادسة لوفاة امير شعرائهم دَنْتي المتوفى سنة ١٣٢١

وممَّا يجدر ذكره خطابٌ لوزير المعارف السنيور بندتّو كروتشي التاء في مونتيتشيتوريو في ضرورة التعليم الديني في المدارس. والوزير المذكور كما هو معلوم احد المتشيّعين للفيلسوف المعطّل هيجل فقال: «قد كذب القائلون بالتعليم اللاديني فانَّ تعليماً كهذا هو تعليم كفري ضرورةً فتجريده عن الدين دون معاداة الدين امرٌ مستحيل لم يوجد قطُّ ولن يوجد البتَّة. امَّا الدين الواجب تعليمهُ فهو الدين المسيحي لأنَّ حياتنا الادبيَّة كلها صادرة عنهُ»

ويحسن بنا ايضاً ذكر ارتداد الجنرال الايطالي القونس ماري فوسكو الى الايمان. فهذا الجنرال الذي حارب مع قومه في الحرب السابقة وابلى فيها البلاء الحسن قد بلغ الثالثة والستين من عمره وبعد ارتداده طلب الدخول في مصافّ الاكليروس فاقتبل برخصة الحبر الاعظم الدرجات الصغرى في معبد لورد ثمَّ كُهِّن في معبد لاساليت

﴿ اسبانية ﴾ لا تزال هذه الدولة عريقة بالدين الكاثوليكي وكثيراً ما تسعى الشيع البروتستانية بدسائسها وبذل مالها بان تجتذب الاسبانيين الى اضاليلها فلم تُصب من فعلها جدوى

وفي هذه السنة قد جرت في مدريد حفلة مؤثرة حضرها ممثّل الكرسي الرسولي والاساقفة والملك القونس وحاشيته واعيان البلاد مع جماهير لا تُحصى من الشعب التأموا في معبد فخيم أُقيم لهذه الغاية في ساحة المدينة تكريس مملكة اسبانية لقلب يسوع الاقدس. وقد تلا صورة التكريس الملك نفسهُ باسمه ولسم كل الشعب الاسباني وجرت هناك مظاهرات تقويَّة في نهاية الأُبَّهة والعظمة

وقد مرَّ لنا ذكر المصلوب العجيب الذي منذ نحو ستتين اصبح موضوع إعجاب الوف من الزوَّار في بلدة لمپاس بظهوره امامهم في صور مختلفة دالَّة على التوجع والالم والحنان والانعطاف كما انَّهُ بسببه قد ارتدَّ كثيرون من الكفرة والملحدين الى الايمان

﴿بلجكا﴾ خرجت بلجكا الكاثوليكيّة من الحرب مكلّلةً بتاجٍ من المجد المؤثّل فلم تبخل بآيات شكرها نحو الربّ الاله الذي صانها من مخالب اعدائها ورفعها في اعين الدول جمعاء. وكفى بها شرفاً موقف كبير لساقفتها الكردينال مرسيه الذي اظهر من الشهامة والتفاني في سبيل مواطنيه ما اثبت للعالم انّ الدين وحبّ الوطن اخوان شقيقان لا تفصل بينهما قوّة بشريّة

عادت المشاريع الكاثوليكيّة في بلجكا الى ازدهارها بعد ان أُصيبت ببعض الانحجاب في مدّة العراك الدوليّ. امّا الرسالات الخارجيّة التي يتولّى ادارتها المرسلون البلجكيّون فانّها ثبتت في نشاطها وترقّيها وخصوصاً في منغولية ومنشورية والهند وافريقية. فانّ عدد النصارى في الكنغو البلجكيّ بلغ في العام الماضي ١٦٠،٠٠٠ منهم ٤٠،٠٠٠ اصطبغوا بالمعموديّة في بحر السنة. وهناك من طلبة العماد المستعدّين لقبوله ١٥٥،٠٠٠ بنيّف

امّا الحكومة فكانت دفّة امورها منذ نحو ٣٠ سنة في ايدي الكاثوليك الذين خدموا وطنهم خدماً لا تُحصى. فسعى الاشتراكيّون والاباحيّون الاحرار بنقض دكّتهم وكادوا ينالون شيئاً من مبتغاهم لولا انّ الكاثوليك تداركوا امرهم وعزّزوا قواهم لاسيّما في مجلس الشيوخ حيث فازوا بالسبق على اخصامهم

﴿النمسة﴾ ليست دولة كاثوليكيّة أُصيبت في الحرب العموميّة كمصاب النمسة بعد ان فصلت عنها معاهدةُ سان جرمان العناصرَ الاجنبيّة التي تتألّف منها كالمجر والتشاك والبوهيميين والايطاليين فاصبحت عاصمتها فينّة البالغ عدد سكّانها ٣،٠٠٠،٠٠٠ كرأس عظيم على جسم ضئيل. وحكومتها الجديدة جمهوريّة اغلب مبعوثيها الكاثوليك المعروفون بالاجتماعيين وعددهم ٨٣ ومنهم الرئيس هَينيش امّا الباقون فاشتراكيّون ومناصرون للالمان وعددهم ٧٣

﴿بولونية﴾ بقيت في قبرها نحو سنة ١٥٠ ليس لها من عضد غير دينها القويم. فعادت بفضله الى عالم الوجود. على انّ اعداء دينها ينصبون لها الاشراك ويجعلون في طريق جيوشها ضروب العثرات منهم البولشفيون والتشكوسلوفاك مع رئيسهم موساريك المُلحد وانكلترةُ والمانية البروتستانتيّتين وليس لها من صديق حميم غير فرنسة. فعساها ان تنجو من كل هذه العقبات. وقد فرض الكرسيّ الرسولي على

المؤمنين بصلوات خصوصيَّة لخلاص بولونية . وأكم اهلها بترقية رئيس اساقفة بوزن الى رتبة كردينال . وقد اتخذ هناك ذوو الغيرة والحماس الديني ينظمون الشركات الخيرية ويعقدون المؤتمرات ويؤلفون الجمعيات الدينية والادبية ليعيدوا لوطنهم سابق مجده قبل ان يُقسم ظلماً على يد فردريك ملك بروسيا وكاترينا الثانية

﴿المجر﴾ أصيبت كاثلسة بفقد قسم كبير من املاكها ونحو الثلثين من اهلها . ثمَّ احتلَّ اراضيها البولشفيون مدَّة اربعة اشهر فاذاقوا اهلها الامرَّين . واليوم عاد اليها رشدها بفضل رئيس ندوتها الكونت أبوني الذي مع كونه بلغ الثانين من عمره لم يزل يبذل النفس والنفيس لخلاص وطنه . وقد تصدَّى بكل عزم ونشاط لدسائس الماسونية واليهود فاوقف من ثبتت له خيانتهم وجازاهم بذنبهم غير هيَّاب لتهديد مناصريهم . وقد عرض على اليهود هناك أن يعتزلوا عن النصارى ويؤلفوا لهم دولة يهوديَّة او يذهبوا الى فلسطين مع الصهيونيين فأبوا وهم يمتصون المجر وابتزاز ثروتها افضل لهم من الاستقلال

﴿بوهيمية﴾ اخترلها ايضاً الحلفاء عن النمسة فاصبحت دولة مستقلَّة مركَّبة من عنصرين التشاك والسلوفاك . فالتشاك قد عُرفوا منذ زمن طويل بميلهم الى الاضاليل والتشيُّعات البروتستانية بخلاف السلوفاك المستعصمين بحبل الدين . فما فاز المتصران بالاستقلال حتَّى اختلفا رأياً وقام بعض كهنة التشاك يطلبون بالحاح امتيازات مضادَّة للآداب الكاثوليكيَّة بل بالغوا في القحة الى ان نادوا بالاستقلال الدينيّ . فبعد ان افرغ رئيس اساقفة براغ السيد كرداك وسعهُ في ردّهم الى الطريق المستقيم بكل لطف وأناة لم يزيدوا إلَّا تمنُّعاً فضرب الحبر الاعظم بالحرم زعيمهم الدكتور فورنسكي والكاهن زهراداك . فكان لهذا العمل الحازم احسن وقع في قلوب كثيرين فتابوا الى الله واستغفروا عن ذنبهم . ولم يبقَ منهم الَّا شرذمة قليلة لا يُعبأُ لها

امَّا الحكومة فانَّها متركّبة من عدد عديد من اعداء الدين والفرمسون الذين يقصدون ثلّ عرش الكثلكة وقد عرضوا على مجلس الامَّة عدَّة شرائع مضادَّة للدين ولولا نفور الشعب ومجاهرته بالأنفة من عملهم لكانوا جروا عليها . غير انَّ الكاثوليك قد شعروا بما يتهدَّدهم من الاخطار بتطرُّف هؤلاء الاشقياء فعقدوا

مؤتمراً كبيراً في ٣١ آب واعلنوا بتعلّقهم باهداب الايمان الكاثوليكي وبمناهضة اعداء دينهم وفي نهاية المؤتمر جرى طوافٌ حافل للقربان الاقدس مشى في اكرامه ٢٥،٠٠٠ مؤمن . واذ ارادت الحكومة ان تعاكس المؤتمر المذكور وتنشئ مؤتمراً آخر تعضده خاب املها ففشلت

﴿ ارلندة ﴾ قد بلغ السيل الزُبى ورأت ارلندة ان كل مواعيد انكلترة لها بالاستقلال عرقوبيةٌ لا يستطاع الركون اليها فتألّفت الجمعيات الثوريّة التي دخلت مع الدولة في نوع من الحرب الاهليّة وتجاوز كلا الفريقين الحدود في طلب حقوقه ومناصبة معاكسيه . وقد توسّط الاساقفة الارلنديون وعرضوا على الحكومة الوسائل المنصفة لاخماد الفتن التي ذهب من جملة ضحاياها اللورد . ماكسويني حاكم كورك وعدّة ارلنديين زُجوا في السجون ظلماً فاحتجّوا بلزومهم الصيام حتى الموت رجاء منهم ان ينالوا انصاف قومهم فماتوا مأسوفاً عليهم

ومما اساء منه العموم في ارلندة وغيرها من البلاد رفض الحكومة الانكليزية الرخصة لرئيس اساقفة ملبورن في اوسترالية السيد . مانيكس بان يزور وطنهُ ارلندة . فكان لهذا العمل اسوأ تأثير فاحتجّ عليه سائر اساقفة ارلندة واوسترالية فعدّوها اهانةً بحق رئيس دينيّ سامي الشرف وخالٍ عن كل غرض سياسي

وقد تعزّى الارلنديون في وسط بلاياهم بتطويب احد شهدائهم اوليفيه بلونكات مطران ارماغ وجاثليق ارلندة الذي سفك البروتستان دمهُ في لندن في ١١ تموز سنة ١٦٨١ لدفاعه عن الايمان الكاثوليكي فاعلن به الحبر الاعظم طوبوياً وجرت بتلك النسبة حفلات غاية في الابهة في كنيسة مار بطرس في رومية ثم في انحاء ارلندة

﴿ لكسمبورج ﴾ زهدت غراندوقة لكسمبورج الاميرة ماري ادلائيد بالدنيا بعد ان ضبطت زمام تدبير بلادها ثاني سنوات فاكتسبت محبّة جميع رعاياها وامتازت بذكائها وحسن تدبيرها . فآثرت وهي في ربع شبابها على غنى العالم وغروره الانقطاع الى الله في رهبانيّة الكرمليات في مدينة مودينا من اعمال ايطالية في ١٨ ايلول الماضي فكان مثلها قدوةً صالحة عملت في قلوب عموم آل جنسها

٣ اوربة غير الكاثوليكيّة

﴿ انكلترة ﴾ قد ازدادت حركة تقرُّب البروتستانت الى الكنيسة الكاثوليكية منذ الحرب لِما عاينهُ الانكليز من صدق ايمان حلفائهم الكاثوليك. والدولة الانكليزية قد اثبتت ذلك باقامتها في رومية معتمداً ووزيراً مفوَّضاً سامياً بامورها لدى الكرسي الرسوليّ. وكذلك الاكليروس الانكليكاني اذ عقد موتمراً دينياً في لندن في غرة تموز الماضي تمنّى لو يتمّ انضمام الكنيستين الى الوحدة . ومما لا ينكر ان الحزب الانكليكاني يزيد كل يوماً تقلُّداً للرتب الكاثوليكية وللصلوات والعبادات الجارية عند الكاثوليك وينبذ كثيراً من التعاليم البروتستانيّة ولا يزال عدد المتكثلكين منهم في ازدياد . وممَّن ارتدَّ الى الكثلكة آخراً الآنسة بنسون ابنة رئيس اساقفة الانكليكان سابقاً وقد سبقها اخوها الى الدين المستقيم وهو اليوم من مشاهير الكتبة الكاثوليك

امَّا الكاثوليك الانكليز فمعظمهم من ذوي التحمّس لدينهم . ففي العام المنصرم عقدوا في ليڤربول موتمراً تصدَّر في رئاسته الكردينال بورن مع الكردينال غسكواي في سلخ تموز بجثوا فيه عن كلّ امور الكاثوليك الدينيَّة والادبيَّة والاجتماعيَّة لم يفتهم منها شيءٌ فاتَّفقوا على تنشيطها وانمائها

وقد ذاع نفوذهم لدى الدولة بمناهضتهم لشريعة حاول تنفيذها المندوب فيشر ليجعل التعليم في حكم الدولة فيُسلب صغار الكاثوليك حرّيّة دينهم

ومن مشاريع الكاثوليك المستحدثة تشكيلهم للجنة من الخطباء يُلقون الخطب لايضاح العقائد الكاثوليكية في ساحات المدن او حدائقها كحديقة هيد بارك في لندن حيثما يتجمهر الشعب . فكان لهذه الخطب احسن موقع في قلوب الذين لم يعرفوا الكنيسة الكاثوليكية

وممَّا يشهد للكاثوليك الانكليز بالتحمّس الدينيّ عدَّة جمعيات تقويَّة واخويات وطوافات دينيَّة يزدحم فيها الشعب الكاثوليكيّ دون حياء بشريّ . نخصّ منها بالذكر جمعيَّة فرسان القربان الاقدس الذين بلغ عددهم خمسين الفاً يتنافسون في اكرام سرّ القربان بزيارته المتواترة وحضور الذبيحة الالهيَّة والتناول الاسبوعي واليومي

وقد سبق لنا ذكر الحفلة الباهرة التي جرت في لندن تذكاراً للقديسة جان درك وتعويضاً عمّا اقترفهُ اجدادهم من الاثم بحكمهم عليها بالموت

﴿ المانية ﴾ انَّ هبوط القيصر غليوم قد كسر نخوة البروتستانيَّة التي كان هو إمامها فتضعضع بذلك امرها واصبحت كجسم بلا رأس. فوجَّه كثيرون من البروتستانت نظرهم الى الكنيسة الكاثوليكيَّة المشيَّدة على الصخرة البطرسيَّة غير المتزعزعة. هذا وقد اجتذب قداسة البابا بندكتوس الخامس عشر محبَّة البروتستان الالمان بسخائهِ الحاتميّ نحو كل المنكوبين بغضّ النظر عن اديانهم وبمساعيهِ المتواصلة لدى الدول ليعيد الى العالم سلامهُ المفقود . ثمَّ انَّ ما احدثتهُ الحرب في المانية من الضنك الشديد اوجب دُعاة الانفس من كاثوليك وبروتستان ان يتفاوضوا في حلّ المشاكل الحاليَّة وبالتقارُب حصل التواخي وسقطت اوهام المنفصلين عن الكنيسة. وقد امتدَّت هذه الحركة بين كلّ طبقات الشعب حتَّى انَّ عدداً عديداً من الجنود ارتدُّوا الى حجر الكنيسة وقد أُنشئت في عدَّة مُدُن كبرلين وهالّ وشباندوَ معاهد خصوصيَّة تُلقى فيها المحاضرات على العقائد الكاثوليكيَّة يُقبل اليها البروتستان بكلّ رغبة . وقد سُرَّ الكاثوليك باهتداء كثيرين من مواطنيهم وفي جملتهم الاشراف والأُدباء من ارباب السيف والقلم وكلّهم يصرّحون بعجز شيعهم عن معالجة نفوسهم . وقد بلغ في فرنكفورت عدد المرتدّين خمسين شخصاً في يوم واحد . ولعلّ هذه الحركة باكورة اهتداء الالمان الى دين اجدادهم وبها تتمّ نبوءة لرجل الله المكرَّم دون بوسكو فاه بها سنة ١٨٨٧ فقال انَّ المانية ستعود الى الكثلكة بعد حرب عوان

من دلائل هذا التقرُّب انَّ المانية رقَّت نيابتها لدى الكرسيّ الرسولي الى سفارة في ٣٠ نيسان . ومنها انَّ فرقاً عديدة من البروتستانت انفصلوا عن كنيستهم اللوترانيَّة الرسميَّة وانشأُوا لهم كنائس اخذوا من الكاثوليك كثيراً من مناسكهم الدينيَّة ورتبهم الكنسيَّة

ولا يزال في مجلس الأمَّة للكاثوليك الموقف الممتاز فانَّ عددهم مع مندوبي بافارية وهانوفر بلغ في الانتخابات الاخيرة في ٦ حزيران ٩٣ مبعوثاً منهم ثلثة وزراء احدهم كاهنٌ وهو الدكتور برونس . ومنهم رئيس الوزراء فهرنباخ

وقد اوفدوا الى رومية وفداً كبيراً اعانوا للحبر الاعظم باكرامهم لشخصهِ

واذعانهم لكل اوامره . وقد فقد الآلان احد كبار علمائهم المستشرقين الاب يوحنا ستراسماير اليسوعي صاحب التآليف المعتبرة في لغة الاشوريين المسماريَّة توفي في لندن في ١١ ك ٢ وكان مولده سنة ١٨٤٦

﴿روسيَّة﴾ انَّ الفوضى الشاملة في روسيَّة بتغلُّب البولشفيين (راجع مقالتنا في العدد الأول من العام الماضي ص٤٦-٥٤) قد ألحقت بالكنيسة الاورثذكسيَّة اضرارًا جسيمة فاكتسحت اموالها وبدَّدت شمل ارباب دينها الذين عجزوا عن لأمِّ صدعها وحسم دائها . وقد ذكرنا لبابا بعض الاكليروس بحمى الحبر الاعظم فاوعز البابا الى كهنة بولونية بان يهتمُّوا لهذا الخطب الجلل فسعوا بذلك رغمًا عمَّا يلقونهُ من المشقَّات في سبيلهم

﴿سويسرة﴾ خطب الاستاذ الفرد مارتين في احد نوادي سويسرة خطابًا استلفت فيه نظر البروتستان الى ترقي الكثلكة في القاطعات البروتستانيَّة حتَّى في عاصمة الدولة جنيفة وحذَّرهم من خطر رومية (كذا) . وما لا يُنكر ان البروتستانيَّة في سويسرة كما في غيرها من البلاد في انحطاط . والدليل عليه ان السويسريِّين دعوا اهل كل الاديان المسيحيَّة ليوحِّدوا بينها كلها على ما زعموا فلم يجب المدعوتهم الكاثوليك والروم الارثذكس وما لبثان تحوَّل مجتمعهم الى اختلاط وضوضاء لاختلاف آرائهم ونفور اجناس بعضهم من بعض لاسيَّما البروتستانت الفرنسويين والبلجكيين من الالمان فتفرَّقوا حانقين يجرقون عليهم الأرَّم

﴿الدول الشماليَّة﴾ هي الاسوج والنروج والدنيمرك . هذه الدول كانت متحايدة في ابَّان الحرب وهي لم تتمتع بحريَّة الاديان الَّا من سنين قليلة وقد اخذت الكنيسة الكاثوليكيَّة في هذه المدَّة تُظهر لاهل تلك البلاد كنوز خيراتها حتَّى انَّ البروتستان صاروا ينظرون اليها بعين الوقار والاكرام وكثيرًا ما يشترون في جرائدهم مديح رؤساء الكثلكة ويطرئون اعمال الراهبات في المآوي والمستشفيات . وللبسوعيين في عاصمة دنيمرك مدرسة عالية معظم تلامذتها من البروتستان . ولهم رسالة في نروج وعدد الكاثوليك كان في الاحصاء الاخير في دنيمرك ٨٧٨٠ وفي نروج ٦٢٠٩ وفي اسوج التي لم تعلن رسميًّا بعد بحريَّة الدين ٢٥٣٨

﴿اليونان﴾ زار نيافة الكردينال دوبوا اثينة في اواخر شباط الماضي فسُرَّ

ممّا لقي فيها من كرامة المثوى وترحاب العموم وما بلغهُ من ارباب دولتها عن رضاهم من الطائفة الكاثوليكية وكهنتها في مدن اليونان · وقد طلب من نيافتهِ وزير الخارجيّة القديم المسيو پوليتيس باسم الحكومة ان يتوسّط لدى الحبر الاعظم لعقد معاهدة بين الكرسيّ الرسوليّ واليونان

﴿ الدول البلقانيّة ﴾ اهتمّ ايضاً البلغار والصرب والرومان بتوثيق العلائق بين دولهم والفاتيكان اذ لم يجدوا امثلَ طريقة لفضّ المشاكل الدينيّة من الالتجاء رأساً الى إمام الاحبار فسُرُّوا بما لقوهُ من تسهيل الامور وازالة العقبات

٤ اميركة

﴿ اميركة الشماليّة ﴾ انّ الشيع البروتستانيّة في اميركة الشماليّة تتقسّم كلّ يوم وتزيد تفتُّتاً · وليس لكثير منها سوى اسم البروتستانيّة لا تعي من تعاليمها شيئاً ويقال انّ اكثر من نصف الاميركيين لا يعترفون بدين البتّة امّا القسم الآخر فالاقليّة فيهِ للكنيسة الكاثوليكيّة البالغ عدد ابنائها مع المهاجرين منهم اليها نحو ٢٤،٠٠٠،٠٠٠ يأتي بعدهم الثّودست (٧،١٢٥،٠٠٠) ثمّ العماديون (٥،٩٢٤،٠٠٠)

والكاثوليك بالاجمال متأصّلون بالدين كما أنّهم ارقى الاهلين الراقين في الآداب والحضارة · فهم النصف من اهل الحواضر الكبرى كنيويرك وشيكاغو وبوسطون والثلث من اهل فيلدلفية وكليفلند وبوفالو وسان لويس · وحاكم ولاية نيويرك حالاً هو كاثوليكي واسمهُ الفرد سميث · وقد سبق لنا ذكر الاسقف كينسان المرتدّ عن البروتستانيّة الى الكثلكة · وذكرنا فرسان كولمبوس الذين يقومون باجلّ الاعمال في خدمة الكنيسة والدفاع عن حقوقها مع وصف زيارتهم لرومية وباريس

والكليّات الكاثوليكيّة الجامعة في الولايات المتّحدة في نموّ وازدهار عظيم يبارون علماء الدولة في سائر آثارهم · لليسوعيّين بينها عدّة كليّات مجهّزة بكلّ ما تحتاج اليهِ العلوم العصريّة من متاحف ومكاتب ومراصد فلكيّة وغيرها

وقد وُضع الحجر الاوّل في واشنطون لكنيسة فخيمة على اسم حبل العذراء بلا دنس من اوسع الكنائس واجلها تذكاراً لمن ماتوا في ساحات الحرب الاخيرة على لفة ساعاتنا ما باشر بهِ البروتستان الاميركيون الذين جمعوا الاموال الوافرة للاصلاح

ما دمَّره الالمان في شمالي فرنسة واعانة منكوبيها ليس تبرُّعاً وبخلوص النيَّة لكن لنشر الاضاليل البروتستانيَّة بين اهل فرنسة الكاثوليك وهي غاية سيئة احسَّ بها الاميركيُّون الكاثوليك وقاموا لمناهضتها فارسلوا من ابناء ملَّتهم الى تلك الانحاء يحذّرون الفرنسويين من دهاء مواطنيهم ونعمَ ما فعلوا . فعارٌ على البروتستانت ان ينتهزوا فرصة البلايا الحاضرة ليتَّخذوها وسيلةً للمتاجرة بالدين فان كانت غيرة بيت الله تضرم قلوبهم فليسعوا في اصلاح مفاسد اوطانهم او يُعنَوا بردّ غير المؤمنين فا لهم يبذرون الزؤان في حقل ربّ البيت . وقد عهدنا شيئاً من ذلك في بلادنا فساء ما يفعلون

وفي اميركة الشماليَّة ولاية « كندا » . كان لفرسانها اطيب المآثر في الحروب وبتقدمهم الى فرنسة توثَّقت الروابط بينهم وبين وطنهم القديم . ومعلومٌ ان اهل كندا كاثوليك شديدو الحمية في الدين لهم فيه مآثر لا تُحصَى

ومن اميركة الشماليَّة بلاد « المكسيك » التي أُرخي فيها الخناق عن الكنيسة بعد ما قاسَتهُ من الاضطهادات بمكايد الماسونيَّة وذوي المفاسد مدة عشر سنوات فعاد الاساقفة وارباب الكنيسة والرهبان الى منازلهم واسرعوا الى إصلاح الاحوال وتلافي الاضرار ودعوا جماهير المؤمنين الى تطواف عمومي اجروهُ على قمم جبال كوبيلاته حيث اقاموا اثرًا جليلًا لقلب يسوع الاقدس شكرًا لهُ على نجاة البلاد من الفتن والثورات وكرسوا لهُ اوطانهم واشخاصهم ورعاياهم . وقد علمنا آخرًا انَّ الفوضويين لم يكفُّوا عن مكايدهم وإسعار نار الفتن

« اميركة الجنوبيَّة » الجمهوريَّات الاميركيَّة في جنوبيّ العالم الجديد حاصلة منذ بضعة اعوام على الهدوء والسلام بنعمة خاصَّة من قلب يسوع الاقدس الذي انتشرت عبادتهُ في تلك الانحاء انتشارًا عجيباً . وقد تكرَّست لهذا القلب الالهيّ بلاد كولومبية وبلاد شيلي وبلاد بيرو والجمهوريَّة الفضيَّة يحتفل اهلها كل سنة بعيدهِ بكل مجالي التقى والأبَّهة . ولكلّها سفراء لدى دولة الواتيكان ورؤساؤها يمتازون بدينهم وتقاهم وحسن تدبيرهم يمتّعون رعاياهم بكل اسباب الراحة والهناء . ومثالهم رئيس جمهوريَّة البرازيل السيّد ابيتاشيو پسُوًا الذي زار في العام الماضي رومية وقدَّم للحبر الاعظم واجبات الاكرام والحبّ البنويّ . وقد استقبل البرازيليُّون القاصد الرسولي السيّد سكاپرديني بغاية من التحفّي والاكرام

اوقيانية

﴿ اوستراليّة ﴾ للدين فيها اعلى مقام . وقد زاد بنوع محسوس تعبُّد اهلها بعد تكريس اوستراليّة لقلب يسوع الاقدس في ٢٩ حزيران من السنة ١٩١٩ . وكثيراً ما تأتينا الاخبار السارَّة عن المهاجرين السوريين الى تلك البلاد وما يلقونهُ فيها من الوسائط لحفظ دينهم

وممّا رُوي عن اسقف ﴿زيلندة الجديدة﴾ السيد كليري انهُ ركب طيَّارة لزيارة رعاياهُ المتبدّدين في الجزائر فقام باعبائهِ بغاية ما يُرام من الغيرة ولم يبالِ باخطار السَّفر الجوّي لتقلّب الرياح وانتشار الغيوم في تلك الجهات ورجع سالماً الى كرسيّه

الرسالات في اوقيانية على قدم من النجاح فانَّ تلك الجزائر التي كانت قبل سنين قليلة سكنى لاهمج القبائل وأَكَلة البشر اصبح كثير من اهلها منتظمين في سلك الدين الكاثوليكي يمارسون اسمى الفضائل المسيحيَّة . نخصّ منها بالذكر جزائر سليمان التي يبشرها الآباء المريميون وجزائر هاواي ومرسلوها آباء بكبوس وخاليدونية الجديدة وغيرها ايضاً

افريقية

اضرَّت كثيراً الحرب الاخيرة برسالات افريقية التي كان معظمها تحت ادارة مرسلين من دُول متحاربة فاضطرَّ المرسلون ان يعودوا الى الاوطان لمساعدة مواطنيهم . ومنها ما انتقل بحكم الحرب الى دول مختلفة تقضي على اصحابها ان يبرحوها . على انَّ المرسلين ما كاد يُعلَن بالصلح حتَّى اسرعوا عائدين الى مراكزهم ليستأنفوا العمل وليستدركوا ما فاتهم من الخير في هذه الخمس السنوات . وممَّا ينشّط مرسلي افريقية تطويب شهداء اوغندا الوطنيين الذين هدوهم الى الايمان فآثروا الموت الاحمر على جحودهِ وهم من اعيان تلك البلاد فأدرجت الكنيسة اسماءهم في سجلّ ابرارها بعد ما اجرى الله بشفاعتهم عدَّةً من الكرامات

ومن الرسالات الافريقيَّة المترقّية العامرة رسالة جزيرة مدغسكار فانَّ اهلها يُقبلون بارتياح على التعاليم الكاثوليكيَّة واذا تنصَّروا واظبوا على ممارستها برغبة

ونشاط. وقد رُقي منهم في العام المنصرم اربعة كهنة انضووا الى الرهبنة اليسوعية وجاروا اخوتهم في كلّ اعمالهم الرسوليّة

وكذلك رسالة الآباء الكبوشيين والآباء اللعازريين في انحاء الحبش والكالا والصومالي فانها حائزة الحرية متوفرة الثمار الروحيَّة

ا ب

نختم بذكر قارئنا العزيزة هذا النظر الاجمالي في رقيّ الدين في اطراف المعمور. ولنبتدئ بالشرق الاقصى

﴿الصين﴾ بعد انقلاب الصين السياسيّ وجد المرسلون الكاثوليك فيها متفرجاً لتوطيد اعمالهم الرسوليّة وتوسيع نطاقها فزاد عدد المتنصّرين ونما عدد المدارس الكاثوليكيّة واُقبل عليها الناشئة اقبالاً عظيماً. وقد زار المسيو بَنْلِفه المبعوث الفرنسوي كليَّة الآباء اليسوعيين المعروفة بالفجر (l'Aurore) في زيكاواي فاخذه الاندهاش من ترقيها وحسن تهذيب طلبتها في العلوم الراقية وصرَّح بذلك في كتاباتهِ الرسميَّة. وكذلك اثنى على اعمال المرسلين في كلّ الانحاء التي زارها

امّا عدد الكاثوليك في الصين فهو الآن يُرْبي على المليونين. ومنهم من اصاب في الحكومة الجديدة المراتب الجليلة والامتيازات الشرفية. وقد اثنت الحكومة على مطبوعات الآباء اليسوعيين واخذت على عاتقها ان تطبع كتاباً للاب فروك في مظاهر الصين الجويَّة

وممَّا يهتمّ بهِ المرسلون في الصين حالة الاولاد الصغار من اللقطاء والايتام وهم يُعَدُّون بالالوف والربوات فيربون منهم بضعة الوف ويعمّدون في السنة نحو ٥٠٠،٠٠٠ بمساعدة مشروع الطفوليَّة المقدَّسة (la S^te Enfance) المنشأة سنة ١٨٤٣ والتي بلغ مجموع حسناتها في السنة ١٩١٩ ٧،٦٦٦،٣٩٧ فرنكاً

وقد سُرَّ مرسلو الصين بما منحهُ الحبر الاعظم للصين من الاكرام باعلانهِ احد ابنائها طوباوياً وهو بول تشان المولود سنة ١٨٣٩ الذي استشهد لاجل الايمان سنة ١٨٦١ وقد احتفل بعيدهِ الاكليروس الافرنسي في كنيسة نوتردام في تموز الماضي

﴿اليابان﴾ يقدّر اليابانيُّون قدر المرسلين الكاثوليك في بلادهم وهم اليوم نحو

مئة الف. وممَّا احرز للمرسلين اعتباراً اعتناؤهم بالمدارس العليا منها كلّيَّة طوكيو للآباء اليسوعيين وبعض مدارس ثانوية للاخوة المريميين فاشاد اهل الدولة بحرصهم على تحسين الآداب. واين هذا ممَّا ورد في مجلَّة المنار الاسلاميَّة (ج ٢٠ ص ٩٤) حيث ذكرت كلمة قالها الشيخ عبد الكريم سلمان يوم شاع انَّ اليابان يرغبون في التديُّن بدين الاسلام فقال الشيخ حسين الجسر: «اذاً يُرجى ان يعود الى الاسلام مجدهُ» فقال الشيخ عبد الكريم: «دعهم فانّي اخشى اذا صاروا منَّا ان نفسدهم قبل ان يصلحونا»

﴿الهند﴾ الرسالات الكاثوليكيَّة في جهات الشمال وكلكوتَّا ولاوس جاريةٌ على نمطها السابق في ترقّيها وعدد متنصّريها. امَّا الانحاء التي كان فيها المرسلون الالمان فأُبدلوا بمرسلين كاثوليك من الاميركيين كبمباي وديكان واجرا

﴿العراق وما بين النهرين﴾ عاد المرسلون الكرمليُّون الى رسالتهم في بغداد والعراق والدومنيكان الى الموصل وقد اثنوا على الاكليروس الشرقي لما ابداهُ من الغيرة في خدمة طوائفهم مدَّة ايَّام الحرب. امَّا ما بين النهرين في جهات سعرت وماردين وديار بكر فانَّ النصارى بعد المجازر التي وقعت في اصقاعهم وهم يؤملون النجاة عن يد الحلفاء لم يزالوا يئنُّون تحت نير عبوديتهم مستهدفين لسهام بقايا الاتراك والكماليين والاكراد يلتمسون الخلاص وليس من معين

﴿فلسطين﴾ قد شرحنا في مقالتنا عن الصهيونيين (المشرق ١٨ [١٩٢٠]: ٧٦٨–٧٧٨) ما دهم اهلها من البلاء بحلول اليهود المهاجرين اليها ليستوطنوها. وقد كادت فرنسة تفقد فيها حقوقها القديمة من حماية الاراضي المقدَّسة. فاحتجَّ كثيرون على ابتخاس هذه الحقوق من جملتهم ٨٠٠،٠٠٠ امرأة فرنسويَّة قدَّمن احتجاجهنَّ مُمضى بامضائهنَّ الى مقام رئيس الجمهوريَّة. وانَّما انعش آمال الكاثوليك في فلسطين مجيء الكردينال دوبوا الى القدس وزيارتهُ لكل مشروعات المرسلين فاخذهُ العجب من ازدهارها رغماً عن آفات الحرب. وقد وضع هناك نيافتهُ الحجر الاوَّل لكنيسة كبرى يشيّدونها اليوم اكراماً لقلب يسوع ستقام في جبل الزيتون في مكان كنيسة قديمة بنتها القديسة هيلانة امّ قسطنطين في نفس المحل الذي كان السيد المسيح يرشد تلامذتهُ. ولغبطة البطريرك اللاتيني الجديد السيّد برلاسينا مآثر يوميَّة في خير رعاياهُ وتثبيتهم في الايمان بازاء الحملة الصهيونيَّة

﴿ بلاد الشام وقيليقية ﴾ قد فقدت الرسالة الفرنسيَّة في الاضطرابات التي حصلت في اوائل السنة المنصرمة في شمالي سوريَّة وفي قيليقية سبعة من اعزّ ابنائها ذهبوا شهداء غيرتهم ومحبتهم نحو القريب قُتلوا قتلًا شنيعاً في شهري كانون الثاني وشباط فاضافوا الى تاريخ رهبانيتهم صفحة جديدة من المجد

وكان نيافة الكردينال دوبوا محتفلًا في تلك الاثناء في ربوعنا يشاهد ما للكثلكة في سوريا عموماً وفي لبنان وبيروت خصوصاً من الآثار المجيدة في سائر اعمال الصلاح من مشروعات خيريَّة ومستشفيات ومآوٍ ومكاتب ومدارس عليا ووسطى وبدائيَّة قضى بمشاهدتها العجب

وقد سُررنا في بحر هذه السنة بما شاهدناهُ من النهضة الدينيَّة في مدن سوريَّة وقراها. فتبارى الاكليروس العالي والقانوني الشرقي والغربي في تعزيز الدين بالرياضات والمواعظ والحفلات الدينيَّة والشركات الخيريَّة وتكريس الابرشيات لقلب يسوع وتنصيبه في بيوت الخاصَّة واكرام القديسة جان درك وتذكار الموتى وربما كان يحضر هذه الحفلات رؤساء الحكومة الفرنسويَّة فيزيدونها بحضورهم رونقاً

وقد اقام غبطة السيد البطريرك ديمتريوس القاضي اساقفة للابرشيات المترملة. وساعد سيادة المطران نيقولاوس القاضي رئيس اساقفة حوران الحكومة الفرنسويَّة في اتحاد الفئتين بين الدروز في حوران فربح شكرهم وشكر الدولة الفرنسويَّة

وكان غبطة البطريرك الماروني مار الياس الحويك في مقدمة الساعين في خير لبنان المادي والادبي والديني وقد وفَّقهُ الله في تحقيق امانيه . وجاء منشورهُ الاخير في كانون الاول آيةً في الحكمة والتقى اعدَّ ابناء طائفته وعموم اللبنانيين الى تكريس جبلهم المحبوب لقلب يسوع الاقدس في الاحد الواقع بعد عيد القربان الاقدس وهو يدعوهم الى الاكتتاب لاقامة اثر يبقى شاهداً على عواطفهم . وقد حذَّرهم من شرور المدارس العلمانية المعادية للدين تحت ستر الحياد المزعوم

فلا شكَّ انَّ هذا النظر العمومي في احوال الكثلكة في العام المنصرم مع كونه نقطة من بحر وبعضاً من عدّ يشهد انَّ الدين لا يزال قوام العالم وركنهُ الامكن وانَّ دونهُ الحروب والدمار

انشاء مكتبة كاثوليكية

بقلم الأب رفائيل نخله اليسوعي

على شاطئ البحر على مقربة من مدينة هستنكس (Hastings) الواقعة في جنوبيّ بوغاز المنش الفاصل بين فرنسة وانكلترة بلدة صغيرة تُدعى بكسهل (Bexhill) . وقد اصبحت منذ سنة ١٩١٧ اشهر من نار على علم في كل انحاء انكلترة بمكتبتها الكاثوليكيّة التي تُقرض آلافاً من كتبها مجّاناً ليس للانكليز فقط بل ولغيرهم من سكان كل بلاد المعمور . قد انشأها اميركيٌّ من الولايات المتّحدة وهو مع كونه علمانياً يجاري اقدس الكهنة في غيرته على خلاص الانفس ولاسيّما في انكلترة حيث لا يزال ألوف الالوف من الناس هائمين في ظلمات الجهل الديني محرومين من انوار الايمان وتعزياته الملطِّفة لكل بلايا الحياة . ولهذا الكاثوليكي الاميركي بدرجة فائقة ما لمواطنيه من بُعد الفكرة وسموّ الهمّة وقريحة الاستنباط والادارة والتنظيم . فاستخدم كل تلك السجايا في سبيل اجتذاب الانفس الى ربّها والى كنيسة سيّده المسيح بنشر الاف من الكتب الجيّدة في كل اصقاع انكلترة بل العالم . وقد بارك الله على مشروعه وانماه في ظرف خمس سنوات انماء يقضي منه العجب كلُّ من تقصّاه . فهلّم بنا نتتبع المشروع من اوائله الى ما صار اليه الآن من عظم الشأن (١

١ تاريخ انشاء المكتبة

لحظ منشئ هذه المكتبة اذ كان في سنة ١٩١٢ قاطناً في بكسهل ان كثيراً من البروتستان كانوا غير راضين عن شيَعهم مستطلعين للكثلكة متهافتين الى مواردها تهافت العطاش الى ينبوع الماء الزلال . ولكن لسوء الحظ لم يكن لهم اصدقاء كاثوليك يقتبسون منهم بعض المعلومات عن الكنيسة الكاثوليكية ولم

(١) مؤسس المكتب شديد الحرص على اخفاء اسمه هرباً من المجد الباطل . فللّه درّه من مسيحي متواضع يعمل بقول السيد المسيح القائل لفاعل الخير : فلتجهل شمالك ما صنعتهُ يمينك

يتجاسروا على استباحتها من بعض الكهنة الكاثوليك . فتأسف منشئ المكتبة على سوء حالهم وبحث بذهنهِ الوقّاد عن وسيلة قريبة المنال تدني اولئك المتعطشين الى الحقيقة من ضالّتهم المنشودة . فلاح لهُ انهُ ليس واسطة افضل من ان تُعرَض بعض الكتب الكاثوليكية على رفّ عند مدخل كنيسة بكهنها الرهبانية فيتيسّر لكل منهم ان يأخذ منها ما يستحسنهُ بدون ان يراه احد فيعيد الكتاب الى محلّهِ بعد استخدامهِ

معلومٌ لدى الخاصّة والعامّة ان الاميركيين لا يتأخرون عن اخراج افكارهم الناضجة الى حيز الوجود . وعلى ذلك جرى منشئ المكتبة . وضع ٢٥ كتاباً على رفّ اقامهُ عند باب الكنيسة فكان ذلك بمثابة الحجر الاول للصَّرح الشامخ المنيع الذي بناه فيما بعد لنشر الكثلكة في انكلترة التي احبّها حبّهُ لوطنهِ . ابتدأ كما قلنا بخمسة وعشرين كتاباً لا غير . امّا اليوم فيبلغ عدد كتب مكتبتهِ ١٨،٠٠٠ كما تلقّينا ذلك من فيهِ . والعجب العجاب ان ذلك النمو الغريب تمّ في اقل من ثماني سنوات من السنة ١٩١٢ الى ١٩٢٠ . ودونك وصف الاطوار التي قطعتها تلك حبة الخردل لتصبح كما هي اليوم شجرة باسقة طائرة الصيت في كل انحاء انكلترة وغيرها من الاقطار

انتبه صاحبُ هذا المشروع المبرور ان بعض الاشقياء يسرقون الكتب الموضوعة عند مدخل الكنيسة فنقلها من هناك الى دارهِ واعلن للجمهور ان من اراد قراءتها فعليهِ استقراضها من صاحبها رأساً . وكان ذلك في اواخر سنة ١٩١٥ . فطفق الراغبون في الكتب الدينيّة يقصدون دارهُ لطلبها بيد ان عددهم القليل لم يكن ليُرضي ذلك الرسول المضطرم الغيرة على خلاص الانفس . ولكن ما الحيلة مع قلّة ذات اليد ؟ امّا المولى لا يخذل عبيدهُ النشطاء ولا يحرمهم من الوسائط الفعّالة لادراك الغاية التي يلهمهم بها خيراً

تُوفّي في تلك الاثناء احد اقرباء بطلنا واوصى له قبل وفاتهِ بمبلغ يُذكر الّا أنهُ لم يجدهُ وافياً بما تاقت اليه روحهُ الشريفة من المشاريع الكبيرة . فلجأ حينئذٍ الى كرم ذوي الاريحيّة فأطلعهم على كافّة التفاصيل اللازمة لتحقيق ما نواه من انشاء مكتبة كاثوليكية مُجهَّزة بآلاف من الكتب الجيدة ولاسيّما الدينية ليُقرضها الى اي شخص او نادٍ او جمعيّة كانت بدون أجرة . فتواردت اليه الحسنات من

كل جهات انكلترة . وفي شهر تموز سنة ١٩١٧ امتلك ارضاً وابتنى فيها بمدة خمسة اشهر لا غير بالرغم عن المصاعب الناجمة عن الحرب بناية المكتبة الحالية . وهي على صغرها آية من حسن الذوق والترتيب الشامل لكل اجزائها ومحتوياتها واشغالها . ففي غرة سنة ١٩١٨ كانت العمارة قد كملت وكانت المكتبة تحتوي على نحو ٣،٥٠٠ كتاب . ومن ذلك العهد حتى الآن ما زال صاحب المشروع يجمع الاعانات المالية ويشتري بها كل عام بضعة آلاف من الكتب النفيسة الى ان بلغ عدد مجموعها الحالي الى ثمانية عشر الفاً

٢ وصف مآثر المكتبة

في المكتبة ردهة للقراءة مفتوحة طول السنة للجمهور من الساعة الثامنة صباحاً الى مثلها مساء . ومعدل زوارها في اليوم نحو خمسين في الوقت الحاضر . وبها يجدون اهم الجرائد والمجلات ولا سيما الكاثوليكية فضلاً عن آلاف من الكتب التي هي طوع اشارتهم . على ان هؤلاء عدد يسير من زبن المكتبة فان معظم شغلها عبارة عن إرسال الكتب بالبريد الى كل انحاء انكلترة والاقطار الاجنبية . ولتسهيل وتعجيل الارسال فُتح في نفس بناية المكتبة شعبة للبريد فاليها تَرِد كل يوم طلبات الكتب بالعشرات فتُبعث اضابير المؤلفات الى طالبيها في ظرف بضع دقائق اي الوقت اللازم لحزم الكتب حزماً متقناً ان كانت مرسلة الى جهات انكلترة او تنسيقها في عُلَب من الكرتون الكثيف صيانة لها ان كانت وجهتها الى الاقطار الاجنبية

قد بلغ هذه السنة عدد المقترضين بواسطة البريد نحو ١،٧٠٠ منهم نحو ١،٥٠٠ في انكلترة و ٢٠٠ في الخارج . ولما زرنا المكتبة وجدنا عدد الكتب المعارة نحو ١١،٠٠٠ كتاب فلم يبق سوى نحو ٧،٠٠٠ على رفوف المكتبة . اما البلاد الاجنبية التي طلب اهلها استعارة الكتب فهي متعددة منبثة في كل انحاء المعمور منها فرنسة وايطالية واسبانية والبرتغال واليونان وتركية وافريقية وروديسية ومدغسكر ومصر — والهند والصين — وكندا وجزيرة كوبا وزيلندة الجديدة الخ

وليس كل المقترضين افراداً فان المكتبة ترسل كتبا لكثير من الاديار والاخويات والمستشفيات والجمعيات المختلفة ونوادي القراءة . وكل من هاتيك

المعاهد يعير الكتب مَنْ شاء من اهلهِ او من المعارف . وعلى هذا المنوال يصبح كلٌّ من المعاهد كشُعبة لمكتبة بكسهل بنشاطهِ في نشر الكتب الجيّدة ولاسيّما الدينية الكاثوليكية . وليس ذلك مختصاً بانكلترة وحدها بل نراه في البلاد الاجنبية التي فيها الآن اربعون نادياً او مكتبة تستجلب كلَّ كتبها او بعضها من بكسهل . ومن هذه المعاهد ما أُقيم في البلاد القاصية كالصين والهند وكندا وزيلندة الجديدة . واذا أُرسلت الكتب الى نادٍ او جمعية ما فان صاحب المكتبة يأذن بحفظها مدة اشهر طويلة بل سنتين او ثلاث سنين اذا أُرسلت الى الخارج اذ ليس جُلّ همّهِ ان يستعيد الكتب بوقت قريب بل ان يفيد طالبيها ما امكن

هذا ثمَّ انَّ الكتب تُعار مجاناً مهما كان عددها البالغ في بعض الاحيان من مائة الى اربعمائة عند ارسالها الى الجمعيات او النوادي او المكاتب . ولا يُطلب من المستعير سوى ان يدفع سلفاً نفقة البريد ذهاباً واياباً . وهي في الوقت الحاضر خمسة شلينات لمصر وسبعة وثلث لسوريَّة من كل حزمة كتب يبلغ وزنها نحو ٥ كيلوغرامات . واذا حصل الطالبون على قائمة المكتبة يقترح عليهم ان يعدّدوا عناوين الكتب المرغوبة ليُرسل اليهم منها الحاضر اذ يتَّفق انَّ كثيراً منها قد استعارهُ غيرهم قبلهم . وينبغي ان تكون كل المراسلات تحت العنوان الآتي : الى صاحب المكتبة في بكسهل (انكلترة) (١ . دون ذكر اسم خاص لأن صاحبها كما اسلفنا شديد الرغبة في اخفاء ذاته هرباً من المديح الباطل . ويُلتمس من القارئين ألّا يحفظوا الكتب ولو يوماً واحداً بدون جدوى وان يعيدوها بدون إرجاء لكي تفيد غيرهم فتفي بالمراد

كل محتويات المكتبة تُقرَض بالشروط المذكورة لأيّ شخص كان والى اجل غير محدود ولا يُستثنى من هذا الحكم سوى الجرائد والمجلّات التي لا تُعار بتاتاً امَّا الكتب اللاهوتيَّة وبعض المؤلفات العلمية فانها لا تُقرض لسوى الكهنة والعلماء ومن شاكلهم . وما عدا ذلك فلا يجوز لمن يستقرض كتباً عديدة ان يطلبها كلّها من نوع الروايات الخيالية ومثلها لئلا يفوت الغرض المقصود من انشاء المكتبة وهو نشر

١) هذا هو العنوان بالانكليزيَّة The librarian-Bexhill on Sea (England)

الكثلكة في انكلترة وغيرها خصوصاً بين البروتستان. وقد سارت اشغال المكتبة بحسن النظام وكامل النجاح وانّما يُعزى إقبالها الى حكمة المؤسس الذي سنّ قوانينها ولا يزال ساهراً على حفظها بإزاء الف وسبعمائة مقترض. ومن عجيب امره انه رغماً عن كثرة المؤلفات التي يعيرها منذ نحو خمس سنوات — وهي تبلغ في هذا العام عدد ١٠٥ يومياً — لم يُضعْ منها شيئاً يُذكر. وذلك اجلى شاهد على حسن تدبيره وعلى امانة قرّائه

وانه لجديرٌ بهذا النجاح الباهر الذي كلّلت به العناية الالهية مشروعهُ الجليل. فهو لم يكتفِ ببذل امواله وحسنات المُحسنين في سبيل نشر الدين القويم. بل اراد بذل نفسه واعزّ الانفس لديه لتلك الغاية الشريفة. فتراه من الصباح الى المساء مشتغلاً في مكتبتِهِ مع زوجتِهِ وابنتِهِ وفتاةٍ من صديقاتِهِ. ولم تكن تلك النساء اعتدنَ مثل ذلك الشغل المُجهد قبل تأسيس المكتبة. فما اعظم شهامة تلك العائلة التقية التي وقفت نفسها لاجتذاب الانفس الضالّة الى محجّة الدين الكاثوليكي! فيا ليتهُ وُجد في كل مُدن العالم عائلتان او ثلاث عيال مثلها لانتشار الصلاح مع الحق في كل الاصقاع! تأمل في الجدول التالي تنذهل من سرعة ترقّي المكتبة ولاسيّما من عظم الخير الذي صنعه مديروها الكرماء:

السنة	عدد الكتب المُقرضة	مُعدّل عدد الكتب المُقرضة يومياً
١٩١٦	١,٦٨٨	١١,٦٦
١٩١٧	١٠,٢١٧	٣٣,٢٧
١٩١٨	١٨,٥٥٤	٦٠,٤٣
١٩١٩	٢٤,٢١٣	٧٨,٨٦
١٩٢٠ (حتى شهر ت ٢)	٦٠,٠٠٠	١٠٥,٨٤

٣ محتويات المكتبة وغيرها

في المكتبة حاضراً كما سبقت الاشارة نحو ١٨،٠٠٠ كتاب. منها نحو ١١،٠٠٠ بين ايدي القرّاء. لكنها لا تحتوي على اكثر من نحو ٣،٠٠٠ تأليف، فان المؤسس لا يشتري عادةً اقلّ من اثنتي عشرة نسخة من الكتب النفيسة، بل قد أكّد لي ان عنده مائة نسخة من بعض التآليف الجليلة الفائدة. وليست غايته الاوّلية من ذلك

اقتصاد النفقات بالاشتراء الاجمالي بل خدمةً للقرَّاء دون تأجيل الانتظار لكتاب غائب عن المكتبة وهي لا تحتوي على اكثر من نسخة واحدة منهُ

وجدول كتب المكتبة يشهد خير شهادة على ما انطوت عليه من الكنوز الدينية والعلمية والادبية فانهُ يكاد لا يُوجد نوعٌ منها الَّا استحضر البعض منهُ . نجتزئ بذكر اخصّ المواد : اللاهوت . الليتورجيَّة . العلوم الكتابيَّة . كتب الدفاع عن الكثلكة . الكتب الباحثة عن الدين الكاثوليكي والرهبنات الكاثوليكية ثم عن الاديان الأُخر — النقد — الاقتصاد السياسي — الفلسفة — العلوم الطبيعية والاجتماعية — التاريخ — الادبيات بكل انواعها من روايات خيالية ودواوين شعرية وقصص اسفار وغيرها . ومن اغزر واجل الكتب التاريخيَّة سِيَر القديسين وعظماء الكاثوليك ولاسيَّما المتأخرين منهم فهي تُعَدّ بالمئات

بين يدينا ذلك الجدول المطبوع اخيراً وهو آية بحسن التنسيق فيه قائمة لعناوين الكتب على ترتيب حروف المعجم ثم قائمةٌ اخرى لاسماء المكتبة مرتبةً كذلك . فيسهل على الباحث أن يجد مطلوبه بدون عناء . واذ لا تزال المكتبة تعتني اعتناء متواصلاً بالمؤلفات الجديدة فيُطبع كلَّ ثلاثة اشهر مُلحق لما استُحضر منها في تلك المدة . فللجدول المُعاد طبعه بشهر ايلول من العام الجاري اربعة ملحقات وثمنه ثلاثة شلينات ونصف مع اجرة البريد

ولا يسعنا تعداد الخدم المتنوّعة الجليلة التي تؤديها المكتبة منذ اربعة اعوام ونيّف . فكم من الكهنة والرهبان والمثقفين والصحافيين وطلبة المدارس العليا وغيرهم من الكاثوليك استقوا من مواردها العذبة فزادوا علماً بآيات دينهم الالهي وتعلُّقاً بكنيسة المسيح وغيرة على اجتذاب المنفصلين من مواطنيهم اليها . ولولا المكتبة التي تعيرهم المئات من الكتب مجّاناً لتعذَّر على سوادهم اقتناء تلك المؤلفات النفيسة التي زادت اثمانها بعد الحرب الكونية زيادةً فاحشة الى حدّ ان كثيراً منها لا تُباع نسخته باقلّ من عشر شلينات اعني نحو عشرين فرنكاً . واذا امعنا النظر في ندورة المكاتب الكاثوليكية الكبرى في انكلترة ثم الى مسيس حاجة الصحافيين والكتّاب الكاثوليك الانكليز الى عدد كبير من المؤلفات الكاثوليكية ليستعينوا بها على

الناضلة عن دينهم في وجه اعدائه الالدّاء، قدّرنا خدمة مكتبة بكسهل لديننا الشريف حقّ قدرها

٤ مكتبة بكسهل والبروتستان

هذه بعض منافعها العظيمة للكاثوليك وليست دون ذلك للبروتستان وغيرهم فانهم يتهافتون على الكتب الدينية الكاثوليكية تهافت الجياع على القصاع ، وذلك ليس فقط من كل انحاء بريطانية العظمى بل من كل انحاء المعمور. وكفى شاهداً على ذلك مئات من الرسائل ترِد كل اسبوع الى صاحب المكتبة يطلب فيها البروتستان او المهتدون حديثاً منهم بعض الكتب الكاثوليكية المناسبة لحالة نفوسهم. وهاك بعض الامثلة الغريبة المؤثرة: التمست احدى المهتديات الى الدين القويم من صاحب المكتبة مؤلفاً يحلّ المشاكل الخصوصيّة المبعدة لزوجها عن الكثلكة — مهتديةٌ أخرى عائدةٌ الى الاوطان بعد ارتدادها طلبت منه كتاباً يبحث عن تداول سلطة الرسل منهم الى الباباوات وذلك لاجتذاب ابيها الخادم الانكليكاني الى الدين القويم — امرأةٌ اخرى ليست كاثوليكيةً ولكنها قلقة في البروتستانيّة التمست كتاباً يُرشدها الى الحق — ثلاثة مهتدين فقدوا بسبب اهتدائهم كل خُلّانهم البروتستان ولا انيس لهم سوى الكتب غير انهم لا يجدون في محل إقامتهم كتباً كاثوليكية فهم يستمدونها من صاحب المكتبة — سيدةٌ بروتستانية كتبت له انه وُجد بين امتعة ابنها المقتول في الحرب جدول كتب بكسهل. قالت انه كان ذا نفس ابيّة تائقة الى المعالي منذ نعومة اظفاره وانه قبيلاً قبل موته ارتدّ الى الكثلكة بل عزم على الانتظام في سلك الاكليروس لخدمة ابناء جنسه. ثم ترجّت صاحب المكتبة ان يتفضّل باطلاعها على بعض الكتب النفيسة التي ابلغت ابنها الحبيب الى اوج الفضيلة والكمال. ولولا ضيق المقام لأطلنا تعداد تلك الطلبات الصادرة من البروتستان او المهتدين الاحاديث منهم. وهي كلّها لسان واحد في التنويه بجليل الخدم التي قدّمتها المكتبة لمئات من اولئك الاشخاص الهائمين في بيداء الضلال المحرومين من خيرات الكنيسة الكاثوليكية

٥ الوسائل لانماء المكتبة

أجل ان العوارف التي افاضها منشئ مكتبة بكهل على كاثوليك بلاده وعموم البروتستان لا يُحصيها سوى الاله الرقيب لكل حركات خلقه وسكناتهم. ولو كان ثمنها بذل الذات فقط لبات صاحب المكتبة في غنى عن الوسائل المالية. ولكن هيهات ان يسير مشروع كهذا على قدم وساق بدون بذل الاصفر الرنان! والحق يقال ان صاحبه يتذرع قبل كل شيء وعلى الدوام بالوسائل الروحية التي تستنزل عليه بركات السماء. فهو لا يزال يُصعد الى مولاه الصلوات والزفرات الحارة طلباً لمعونته القديرة. وفي مكتبة صورة سيدة الكرمل التي وُضع في عيدها سنة ١٩١٧ الحجر الاول لعمارة المكتبة. وامام صورتها مصباح لا يُطفأ نهاراً وليلاً. ثم انه يدفع حسنة قداس يُقام اسبوعياً على نية كل المحسنين الى المكتبة الاحياء والاموات سواء تبرعوا بمالهم او عرفوا المكتبة واعاروا كتبها اصدقاءهم او خدموها خدمة ادبية. وقد استجابت صلواته غير مرة العذراء المجيدة فمن ذلك انه احتاج في العام المنصرم الى مبلغ الف ليرة انكليزية فاستعطاها من ذوي الاريحية بواسطة الجرائد والمجلات وباشر تسعوية لسيدة الكرمل بغاية الحرارة والثقة البنوية. فما عتم ان نال فوق ما تمناه

على انه لم يكتفِ بهذه الوسائل الروحية مع اختباره لعظم مفعولها بل تذرع ايضاً بالذرائع الزمنية لدفع نفقات هذا المشروع الطائلة كثمن استئجار خزائن المكتبة واجرة المستخدمين والتنوير والتدفئة مدة الشتاء الطويل وترميم الكتب عند اللزوم والمراسلات والاعلانات بقصد تعريف المكتبة وما شاكل ذلك يبلغ مجملها في الوقت الحاضر ثلاثة شلينات عن كل كتاب سائر من يد الى يد اعني ١٬٦٥٠ ليرة انكليزية لكل المكتبة. زد على ذلك قيمة مئات من الكتب الجديدة التي لا يزال المؤسس يغني بها معهده وهو يدفع عنها الآن أضعاف اثمانها قبل الحرب. فهو في حاجة الى ٢٠٠٠ جنيه ونيف ليقوم بنفقات السنة الجارية وسوف تزداد حاجته مع ترقي المكتبة المتواصل. وأسطع دليل على رضى الله عزّ وجلّ عن ذلك المشروع المبرور وعن صاحبه انه امكنه ان يسدّد كل ديونه حتى الآن والحسنات تتوارد اليه بوفرة

خصوصاً من جهات انكلترة واسكتلندة بصفة حسنات جزئية او تبرّعات حاتميّة او بصفة هدايا كتب نادرة ومفيدة

٦ استحسان العموم لهذا المشروع

وقد تواردت الى منشئ المكتبة الرسائل العديدة من امراء الكنيسة وعظام الكاثوليك الانكليز ومن البروتستان انفسهم وهم يثنون على عمله وينشطون همّته وفي مقدّمتهم رأس الكنيسة المنظور وخليفة السيد المسيح على الارض قداسة البابا بنديكتس الخامس عشر . فانهُ بارك على المشروع عند نشأته في ١٣ كانون الاول سنة ١٩١٤ . ثم تنازل وكتب للمؤسس بتاريخ ١٥ نيسان من السنة الماضية رسالة طافحة بالتهاني قال فيها ما حرفه :

في الوقت الحاضر حيث نرى كثرة الاضاليل تدسّ في اذهان العامّة ممّا الزعاف يقتضي خلاص البشر ان تحوز التعاليم القويمة اوسع انتشار . لذلك سمعنا بمزيد الفرح من نيافة الكردينال غسكواي ان ابننا المحبوب (فلان) اسس مؤخرًا في بكهل مكتبة لإقراض الكتب الجيدة مجانًا وانها رقيت من اوائلها الوضيعة الى اوج النجاح والتقدم في زمن يسير . فنهنّئ مؤسس هذا المشروع المبرور للغاية خير التهنئة ونوصي بسعيه كلّ ذوي الصلاح - واشارةً برضانا نمنح بكامل المحبة ليس فقط للمؤسس وللقرّاء بل ولكل من يؤازرون المكتبة على ايّ منوال كان بركتنا الرسولية

وممّا كتبه في اواخر سنة ١٩١٩ الكردينال بُرن رئيس اساقفة وستمنستر وجاثليق انكلترة بعد زيارته للمكتبة يهنّئ صاحبها :

« سُررت كثيرًا من زيارة معهدك . انك تعمل عملاً عظيمًا وخطيرًا لنشر الحقائق الدينية . فاتوسّل الى الله ان يبارك ذاتك ومشروعك ولي الرجاء انه لن يحرمك من المدد الذي انت في حاجة ماسّة اليهِ لترسيخ ما بنيتهُ يبذل ذاتك وبأكبر الضحايا »

وكتب المستر بريتن كاتم اسرار شركة الحقيقة الكاثوليكية (Catholic Truth Society) لصاحب المكتبة :

« لم تزل شركتنا ومعهدك مرتبطين بصلات الوداد فانّ الواحد يُكمّل عمل الآخر . جُلّ همّتنا متّجه الى نشر الكثلكة بواسطة كراريس كثيرة المنى قليلة الصحائف . اما انت فقد آثرت نشرها بالمؤلفات الطويلة النفيسة منّي ومنّي »

والصحافة الكاثوليكية الانكليزية لسان واحد في إطرائها لمكتبة بكسهل. والزوّار وبينهم اساقفة كثيرون يتقاطرون اليها يومياً حتى من البلاد الاجنبية. فقد زارها من القاهرة في ١١ آب المتصرم المحامي ألبر افندي مارون وقرينته وقيّدا اسمها في سجلّ الزائرين

كل تلك التقاريظ والتشجيعات تنشط دون مراء همّة مؤسس مكتبة بكسهل فهو لا يزال يُعمل فكرته الوقّادة في سبيل توسيع نطاق مشروعه. ونيّته الحاضرة ان يبني طابقاً جديداً فوق البناية الحالية ليستودع فيه خمسة وعشرين الف كتاب يقصد اقتناءها في السنين المُقبلة ثم يريد امتلاك عمارة المكتبة مع دار بريدها، ولكل ذلك يلزمه نحو ٥٠٠٠ ليرة انكليزية. ولا تقف مُناهُ العظيمة عند ذلك الحدّ بل له ثلاث رغائب شريفة كبيرة لا يريد بها سوى نشر الدين القويم والمناضلة عن حقوقه في بريطانية العظمى. الاولى ان يؤسس شُعبةً لمكتبته في جوار كاتدرائية لندن الكاثوليكية فيسهل على آلاف من كاثوليك العاصمة ولاسيّما كهنتها ورهبانها وصحافييها وكُتّابها استخدام كنوز تلك الشعبة. الثانية تأسيس مكتب استعلامات كاثوليكي يجمع ويُرتّب كل الاخبار والمعلومات المتعلّقة بالكنيسة الكاثوليكية ومشاريعها ورجالها واعمالها الخ فيكون اقوى حليف للمكتبة وخصوصاً للصحافيين الكاثوليك في الدفاع عن الكثلكة ضدّ مناوئيها ولاسيّما البروتستان فيُضحي ملاذاً اميناً للباحثين عن الدين الحقيقي والمهتدين اليه حديثاً فينير الاولين ويُثبّت الآخرين. الثالثة هي توطيد علائق وثيقة عملية بين مكتبة بكسهل وغيرها من المكاتب الانكليزية الكاثوليكية فيتضاعف نفوذ كلٍّ من هذه المعاهد بجمع قواها وتوحيد مساعيها على قدر الامكان

تلك مطامع نفس مؤسس مكتبة بكسهل مطامع نفس عالية ابيّة مضطرمة غيرةً على خلاص الانفس المفتداة بالدم الالهي. هل تتحقق ومتى؟ ذلك سرٌّ عالم الغيوب، على انّ في همّة البطل الكاثوليكي واقتداره العجيب على التأسيس والادارة ما يُنعش آمالنا في خروج مناه الى حيّز الوجود. ومهما يكن المستقبل فان حال الموت او غيره من الموانع التي لا سبيل الى الظفر بها دون انجاز تلك المشاريع الكاثوليكية الكبرى، فحسب مؤسس مكتبة بكسهل فخراً انهُ ابتكر في جيل يعبد عجل الذهب

عملًا جليلًا آئلًا الى مجد الله وخلاص الانفس الابدي وانَّه وقف حياته وحياة ذويه على ذلك العمل المبرور فرفع به شبه منارة سامية تبثُّ انوار الايمان الساطعة في كل انحاء انكلترة بل في كل اصقاع المعمور

إكرام كاتبة مسلمة للقديسة جان درك

ترجمة جان درك للسيّدة زينب فوّاز

انَّنا بنسبة الاعياد التي أُقيمت في كنيستنا لإكرام القديسة جان درك استحسنَّا نشر هذه الترجمة التي وضعتها احدى الكاتبات البارعات من السيّدات المسلمات وهي زينب فوّاز فأدرجتها في كتابها المعنون بالدرّ المنثور في تراجم ربَّات الخدور الذي طُبع منذ نحو ثلثين سنة في القاهرة وقد وجدنا في هذه الترجمة ما يشهد لمؤلّفتها بحسن الذوق والاعتدال في الحكم مع رشاقة الاسلوب وسلاسة العبارة. والكاتبة الاديبة من سيّدات القطرين السوري والمصري فانها سوريَّة مولدًا وموطنًا ومصريَّة منشأً وسكنًا فلكلا الوطنين حقٌّ بان ينظمها في جملة اديباته المعدودات ونحن نروي كلامها بحرفه مع الاشارة الى ما وقع فيه من السهو او العبارات غير السديدة

اصل جان درك ودعوتها الى خلاص وطنها

جان درك وتسمّى لابوسل ١) وتُعرف بالسيّدة اوريان ٢) هي فتاة فرنساويَّة كانت نقيَّة البشرة مهفهفة القوام دعجاء العينين ذات شعر فاحم مسترسل على كتفيها يلوح على محيَّاها الصبيح سيماء الحياء واللطف والدعة وتبدو من مخايلها أمارات مضاء العزيمة وبُعد الهمَّة وثبات الجأش. فطالما امتطت الفرس فسابقت عليه وهو غير مُسرَج ولا مشكوم جرأةً وفروسيةً ٣). وكانت ذات كلام بالغ بين الرُّشد والفعال دائرة على محور الاستقامة والصلاح. ولدت في دومرمي من مقاطعة لورس ٤) سنة

١) من الفرنسويَّة (la Pucelle) ٢) تريد سيّدة او عذراء اورليان (la Pucelle d'Orléans) ٣) لم تمتطِ جوادًا قبل سيرها الى الحرب ٤) تصحيف لورين (Lorraine)

١٤١١ للميلاد من راعٍ يدعى جان (١ وكان قد ربَّاهُ الفقر وهذّبهُ الدين فنشأت كثيرة الهواجس الدينيَّة (٢

ولمَّا بلغت الخمس سنوات اخذت ترى في هجعتها (٣ رؤيا علويَّة زاعمة (٤ انَّ الملائكة والاولياء تتجلَّى عليها بمنظر نورانيّ . فلمَّا أنس ابوها منها ذلك اراها من القسوة والعنف ما حداها الى الفرار والانطواء (والانضواء) الى ارملةٍ من ربَّات الفنادق (٥ فاقامت في خدمتها زمناً تبذُل عندها من الاخلاص في السعي والاقدام في العمل والعفاف في السلك ما تُذكر به فتُشكر

ثم عادت الى ابيها (٦ زماناً اذ كانت فرنسا على شفا حفرة من النار والانكليز يذيقونها من حروبهم ضريع الويل الممزوج بالشنار . وكان قد مرَّ بقريتها فريقٌ من الاعداء . فاكتسحوها واستاقوا امرالها فاقتسموها وتركوها خاويةً على عروشها يندبها لسان الخراب ويأوي الى أطلالها البوم والغراب . فصدع فؤادها الشغاف (الشقاق او الشقوق) ذلُّ قومها وبوارُهم وانكسارهم للعدوّ المفضي الى دمارهم فعاودتها الاحلام والرؤيا زعمت (٤ انَّها مأمورة بالإلهام بإنقاذهم وبلادهم من الملكة والمعرَّة وانتشال قومها من هوَّة الحَيف والمضرَّة

سيرها الى الملك شرل السابع سنة ١٤٢٨

وبعد تردُّد وأعمال رويَّة سارت الى شارل ملك فرنسا في شهر شباط سنة ١٤٢٩ ميلاديَّة وكان عليها ان تقطع مسافة ١٥٠ فرسخاً في اقطار مشحونة بدبابة الانكليز ومحفوفة بالمكاره والاهوال حتَّى تبلغ مدينة لوزين (؟) حيث يقيم الملك (٧ فتزيَّت بزيّ فارس (٨ وعلت جوادها بعد ان تقلَّدت حساماً بتَّاراً واخترقت تلك الهامه حتَّى اذا

---

١) والصواب جاك اي يعقوب درك ٢) لم تكن تلك الهواجس اوهاماً بل عواطف تقويَّة شريفة ٣) بل في يقظتها حين بلغت الثالثة عشرة من عمرها ٤) ليس الزعم هنا بمعنى الظن بل بمعنى التأكيد ٥) والصحيح انَّها انتقلت مع والديها الى مدينة نوفشاتو لمَّا غزت قريتها عصابة من البورغنديين المشايعين للانكليز فخدمت هناك الارملة المذكورة ٦) والصواب انَّها عادت مع اهلها الى دومرمي بعد خروج البورغنديين منها. ٧) كان الملك مقيماً في مدينة شينون ٨) فعلت ذلك بوحيٍ من رؤاها

اشرفت على مقرّ الملك بعث تُنبئهُ بقدومها وتخبره بأنها ستكون منقذة للعرش ورافعة الحصار عن اوليان (١ وأنها ستمهد سبيل تتويجه في رانم (٢

فلمّا قدم عليه البشير بذلك النبأ ابتسم ذرياً (زَرِياً) من قلب مشحون من الغيظ. ثمّ استشر مع وزرائه في شأنها ثلاثة ايام فكان فريقٌ يسخر منها ويضحك عليها وفريقٌ يذود عنها ويرى إلقاء المقاليد اليها والملك بين ذلك من حزبٍ لا الى هؤلاء. ولا الى هؤلاء. حتّى اسفر الرأي عن لقائها. فلبس الملك ثياب احد اتباعه والبسهُ ثوبهُ الملكي اختبارًا لأمرها ثمّ اذن لها. فجاءت تخترق صفوف الحشم والحاشية حتى وقفت بإزائه فانحنت جاثيةً لديه قائلة له بلسانٍ ذَرِبٍ : حُيّيتَ وحُيّيت ايها الملك الحليم. فقال لها : اخطأتِ فانّ الملك هو ذاك مشيرًا الى من ألبسهُ ثوبهُ. فقالت : « ما الملك الّا انت وما انت الّا الملك واني للمورة انا العذراء المسكينة من الروح الامين بشدّ أزرك والدأب لأسباب نصرك وما على الرسول الّا البلاغ ». فخلا بها الملك حيناً من الدهر ثمّ ناجى وزراءهُ فقال لهم : « قد احاطت لعمرُ الله بما في سرائري وادركت ممّا لا يدركهُ بعد الله الّا ضمائري واني لا اشكُّ ان اكون من امرها على ثقة ولكن لا بأس من التأني ريثما تُمتحن ». ثمّ اتاها برهطٍ من مَهرة الاطبّاء واساطنة العلماء حاولوا ان يفتروها(؟) بمسائل مُشكِلات وغوامض حتّى اذا اعيتهم الحِيَل وعادوا بالخيبة والفشل عزّزها الملك بكتيبةٍ من خواصّ فرسانه

فبرزت امام الجيش شاكّة السلاح معتقلة بيدها رمحاً وبالأخرى راية واخذت تعدو على جوادها متفننة في انواع الفروسيّة حتّى سحرت الناظرين فهتفوا ترحيباً بها واستحساناً لها وتعجّباً منها ثمّ صارت بجيشها تنهب الارض هملجةً وخبباً حتى بلغت العسكر في اورليان . واذا بارواح القوم تكاد تبلغ التراقي والعدوّ محيط بالمدينة احاطة الهالة بالبدر واهلها في شدّة من ضيق الخناق

فأمرت بادئ بدءٍ بتطهير العسكر من عواهر النساء وحضّت الرجال على الاستمساك بالتقوى والاعتصام بالرجاء ثمّ زحفت على البلد فاستولى الرعب على قلوب الانكليز وقالوا : « ما هذه بشرٌ إنْ هي الّا مَلَكٌ كريم (٣ » او ساحرٌ اثيم. وكانت

١) اقرأ « اورليان »   ٢) اي مدينة ريمس

٣) من سورة يوسف : ع ٣١ وفي القرآن « بشرًا »

ترتدي بحلّةٍ بيضاء وتركبُ جوادًا اشهب وتنشر فوقها رايةً بيضاء [١] فاذا بصر بها الانكليز وهي في هذا المقدام فرّوا من امامها كأنّهم حُمُرٌ مستنفرة فرّت من قَسوَرة. وما برحت تصدق الحملة وتُتابعها وتبلي بالعدوّ البلاء الحسن وهي تتجرّع من انحراف جيشها عنها وعدم انقيادهِ لها انواع الغصص وضروب الإحن حتّى لستتبَّ لها الفوز فضعف الانكليز واستكانوا وضربت عليهم الذلّة اينما ثقفوا فألجئوا الى الجلاء على (عن) اورليان فكفّوا عن حصارها في ١٨ ايّار ١٤٢٩ وانهزموا لا يلوون على شيءٍ فسارت جان درك الى بلوا لتهنّئ الملك بما اوتيَه على يدها من النصر. وكان القرويّون في تلك الاصقاع يتسابقون لمرآها ويتزاحمون على لثم أقدامها ولمس ثراها. فأكرم رجال البلاط وِفادتها ودعاها الملك الى وليمةٍ فأبت قائلةً: «انّ الوقت وقتُ جهد (جهاد) وثبات لا وقت قَصف ولذّات. وان الروح انبأني انّ الموت قد دنا فتدلّى حتى صار على قاب قوسَين[٢] وانهُ لم يبق بيني وبينهُ اكثر من عامَين فاذهب بجقّك الى رام (ريمس) حيثما اتوّجك بيدي وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء.»

وصارت امامهُ بفصيلةٍ من الجيش حتّى اذا بلغت جارجوا اعترضها العدوّ فهاجمتهُ ورقت (رقيت) سلّمًا نُصب لها على السور فرُميَتْ من اعلاهُ بما جندلها من الخندق فصُرعت لكنّها افاقت بعد قليل وجعلت كقائد الجيش تستثير حميَّة العساكر بكلام ارقَّ من السحر وافعل في الرؤوس من نشوة الخمر وهي تعاني آلامًا مبرّحة. فدبّت النخوة في صدور الرجال وحملوا حملةً صادقة اذاقت العدوّ الازرق بلاءً اسود وأرتهُ من بريق النصل الابيض موتًا أحمر. فاستولت على البلد عنوةً بعد ان أسرت

ولمّا طار الخبر الى الامير تلبوت قائد الانكليز العام اخلى سائر المدن وكرّ قافلًا الى باريس وما برحت جان درك آخذة في سيرها وكلّما عثرت بشرذمة فتكت بها حتّى بلغت مدينة رام (ريمس) وهناك تمّ تتويج شارل في ١٧ تموز سنة ١٤٢٩ وكانت جان درك ممسكةً بسيفهِ وعليها اثواب الكماة. وبعد انقضاء الحفلة جثتْ عند قدميه وعانقتهما باكرام باكيةً ثمّ قالت: «اليوم اكملتُ لكم نصركم وانجزتُ كلّ ما وعدتكم فأطلقوا سراحي فاعود الى ابي قريةَ الين حيث ارعى الماشية واغزل

١) رسمنا صورتها في المشرق (١٢ [١٩٠٩]: ٣٢٨) كان مرقومًا عليها اسما يسوع ومريم الكريمان ٢) من سورة النجم ع ٨–٩

الصوف جرياً على سُنّة بيتٍ رَبَيتُ فيه ونشأتُ عليه»

فامتنع الملك قائلًا : « كيف أغادر مَنْ بها نجاةُ الأمة واليهْ يرجع امر استتباب راحتها وعليها يتوقّف استكمال سعادتها ». ذلك لأنّ الناس كانوا قد ازدادوا بها اعتقاداً وعلّقوا على بسالتها وإقدامها آمالًا طوالًا حتّى كانوا يرون حول رايتها ارواحاً من الفَراش البرّاق (١

فساءها امتناع الملك وعرَتْها من تلك الساعة الكآبة والحزن وفارقها ذلك الرشد والنشاط وذهبت عنها تلك الحميّة والبسالة وانقطعت عنها احلامها الروحانيّة حتى اصبحت اعمالها رهينة الحيرة والفشل واقوالها قرينة الوهم والركاكة وكانت تُرى ابداً حائرة النفس دائمة البكاء. (٢

ولمّا لم يُجدِها الإلحاح نفعاً استعادت من معبد رام (ريمس) سلاحها وبرزت ثانيةً في زيّ الابطال غير انّ كبراء القادة وامراء الجيش كانوا قد أُشربوا بغضها واضمروا لها الحسد والضغينة فصاروا يشنعون عليها ويُسيئون معاملتها ويُغرون العساكر على نَبذ طاعتها ويلقّبونها بالالقاب المستهجنة ويُتهمونها بهتك حجابها ويفضحونها امام العموم . . فكانت تردُّهم اقبح الردّ ولا تجالس الّا حرائر النساء ومصونات الابكار ولا تنام الّا مع امرأة تخفرها فلم يجد احدٌ فيها محلًا للّوم والقذف ومع أنها جُرحت جراحاتٍ لم يثبت كونُها سفكت بيدها دمَ احدٍ

ثمّ اشارت على الملك بالشخوص الى باريس ليستخلصها من يد الانكليز فساروا وجان درك سائرة في ركابه حتّى اذا بلغها بعد شقّ النفس امرها بالهجوم على فوبور سنت اونري ٣) حيث يقيم الاعداء. فأُثخنت في تلك الواقعة جراحاً وصُرعت عدّة صرعات . ولمّا استعادت رُشدها قامت فعلّقت درعها وسألت الملك الانصراف فأبى ووعدها باعفاء قريتها من الضرائب ومنحها رتبةً جليلة فعاودت الخدمة مرغمةً

---

١) رأى ذلك اهل مدينة تروا يوم اضطرّهم على فتح مدينتهم للملك شرل

٢) في هذا شيءٌ من المبالغة. فانّ القديسة جان درك اذ لم تعُد تسمع الاصوات السماويّة التي كانت ترشدها وكان الملك لا يدعها ان تعود الى منزلها بقيت حيناً في حيرة وارتياب لكنّها آثرت اخيرًا ان تضحّي حالها في خدمة وطنها فكان موتها داعياً لنصرة فرنسة تماماً

٣) هذا تصحيف فوبور سنت اونوره (Faubourg St.- Honoré)

وفي السنة ١٣٤٠ انتدبها الملك الى اجلاء الانكليز عن كوبيين (١ فسارت متدرّعة بالاقدام بيد انها لمّا ارادت الايقاع بالحاضرين خذلها اتباعها فرُميت بسهم، فصُرعت واستسلمت الى الامير ڤندوم (٢ وذلك في ٢٤ أيار ١٤٣٠ فذاع خبر اسرها في تلك الاصقاع واقبل الناس لرؤيتها

ثمّ بيعت للانكليز وخذلها الملك شرل جاحدًا جميلها كافرًا نعمتها لؤمًا منهُ وخسّةَ اصل (٣ وخاض الناس في حديثها وكان اهل باريس يشدّون عليها النكير ويُغرون الانكليز على اتلافها (٤ فلبثت مسجونةً في قلعة جان دولكسنبرغ حتى أُقيمت عليها الدعوى في ١٤ شاباط (شباط) سنة ١٤٣١ تحت رئاسة كوشون مترنه بوڤه (٥ من صنائع هنري السادس عامل الانكليز فسيقت الى المحكمة ست عشرة مرّة ابدت في خلالها ثباتًا عجيبًا ودفاعًا مُفحمًا على انهم حكموا اخيرًا بأنها مبتدعة ساحرة وبأن تجازى بالحبس الابدي مقصورًا قوتُها على الخبز والماء

ثمّ ارغموها على الحلف بان لا ترتدي بعد ذلك بلباس الرجال ثمّ نصبوا لها شركًا بان بدلوا ثيابها ليلًا بثياب رجل فلمّا ارادت ترك فراشها لم تجد سوى تلك الثياب فلبستها مضطرّةً فهوجمت وسيقت الى الحاكم بهذا الزيّ فحكم بأنها حانثة تستحقّ الإحراق فقالت بثبات وجلال: « انني استأنف حكمك الى عرش الحكيم العظيم (٦ »

ولكنّها لما أُخرجت الى حيث استوقدت النار خارت قواها فأنّت متوجّعةً ولما حمي الوطيس ولعلع لسان اللهيب فيه جعلت تدعو وتبتهل بلسان ابكى اعداءها (٧ وحيّر الكردينال بوفور فحوّل وجههُ عنها تألمًا والدموع تنحدر من مآقيهِ كالسواقي. وقد تمّ هذا المشهد الاثيم في ٣١ ايار سنة ١٤٣٠ في ساحة تسمّى موضع البكر وذُرّي رمادها بالهواء فوق نهر السين

---

١) تريد كمباين (Compiègne) ٢) كان الامير دي ڤندوم من حزب البرغنديين
٣) لم يجحد الملك جميلها لكنّهُ اظهر ضعفًا في الدفاع عنها وفكّ اسرها ٤) كانوا موالين للحزب البرغنديين ٥) اي مطران بوڤه (Cauchon év. de Beauvais)
٦) وطلبت ان يُرفع الحكم الى بابا رومية. الذي لمّا بلغهُ الامر بعد موتها زكّاها وبرّأ ساحتها ٧) كان ابتهالها الى السيد المسيح ربّها وقد طلبت ان يوضع صليبُ القدّاس امامها فماتت صارخة: يايسوع. يا يسوع. ولم تؤثّر النار في قلبها

ثمَّ بعد عشرين عاماً نقض مطران باريس ومطران رام (ريمس) هذا الحكم واثبتا براءتها. وفي سنة ١٨٢٠ أُقيم لها تمثال في موطنها دومرمي وآخر في محلّ إحراقها دون (١ ثمَّ آخر في باريس وهو اجل تماثيلها. وفي السنة ١٨٥١ نصب لها اهل اورليان تمثالاً في مدينتهم وهم يعيّدون تذكارها في ٨ ايّار في كل عام

وقد عاب الرأيُ العام فولتر (٢ بقصيدتهِ التي اودعها ذمّ جان درك وتسويد صحيفتها بانواع السبّ الفظاع والقذف الغادر لكنهُ لا يُستغرَب ذلك ممَّن اوقف حياتهُ على تقويض عمد الديانات وتزييف اوليائها. وقد ألّف كتبة الفرنج بموضوع قصّتها عدّة روايات محزنة من النوع المعروف بالتراجيدي اي الفاجعة وهي ممَّا يُذيب تمثيلها القلوب ويشقّ المرائر. فيا قاتلَ الله الانسان انهُ لكافر

ليت السباعَ لنا كانت مجاورةً ... وليتنا لا نرى ممَّن نرى احدا
انَّ السباع لتهدا عن فرائسها ... والناس ليس بهادٍ شرُّهم ابدا

الحيوانات الداجنة وتربيتها

نظر طبيعيٌّ فلسفي لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي

لا يرضى المتشيعون لآراء داروين بان ينسبوا النباهة فقط الى الحيوان بل يزعمون انهُ يحصل على شيءٍ من العقل والنطق. وحجَّتهم في تأييد رأيهم انَّ للحيوان حركاتٍ وسكنات لا يُستطاع تعليلها الّا بالقول انهُ ذو فهم وتعقُّل أفلا تراهُ مدركاً لاعمالهِ وعارفاً بما يدعوهُ اليها وعالماً بما سيحصل من بعضها ان لم نقل عن كلّها ؟

قالوا: انظر مثلاً الى هذا الكلب فانَّهُ اذا بلغ مدخل بيت سيّدهِ رفع بقائمتيهِ وسندهما الى الباب وعالج زلاجهُ الى ان يفتحهُ فيدخل. ومن الكلاب الصيّادة ما يقوم باعمالٍ عجيبة بركضهِ وراء الصيد وحجزهِ وبحراسة البيوت واهلها ومنها ما

١) هذا تعريب روان (Rouen) ٢) هو تصحيف فولتير (Voltaire) الذي اشتهر كفرهُ ونشاءة نفسهِ بتأليف مأساة شنَّع فيها على تلك النفس الملائكيّة

يساعد ارباب الدرك والشرطة في ايقاف المجرمين. ويجري غيرها في خدمة جمعيات الصليب الاحمر للدلالة على الجرحى في ساحات القتال وامور كثيرة لا يسعنا ذكرها. وما قولنا بالقرود فانَّ منها ما اعتاد خدمة صاحبه او الجلوس معهُ على المائدة فينشر ويطوي الفوطة ويأكل ويشرب كأنهُ جليس عاقل. وغير ذلك من الاعمال التي يرويها الدافعون عن نطق الحيوان والقائلون بالشبه بينهُ وبين الانسان

لا بدَّ قبل الحكم من هذه الافعال الحيوانيَّة ان نتحرَّى البحث في وهم الحيوان وما بينهُ وبين نطق الانسان من الفرق حتى في اعظم تشابه افعالها

دَعنا اولًا قبل ذكر ما يحاوله الانسان في تربية الحيوان وتأهيله ان نبيّن ما يجريه كل يوم مع النبات والبقول التي يهتمُّ بزرعها. فلنعتبر مثلًا الشمندر والجزر هما في الاصل نباتان بريَّان لا يصلحان للغذاء. فوقف عليهما احد الزرَّاع ورأى انَّ جذرهما المستطيل دَسِم ذو مائيَّة وفي طعمهِ شيءٌ من الحلاوة فخطر على بالهِ انهُ اذا عُنيَ بهما بالفلاحة لعلَّهُ يستفيد منهما لطعامهِ الخاصّ ولطعام دواجن بيتهِ. فاختار اجود بزرهما وزرعهُ في تربةٍ حسنة. ولمَّا تمَّ الزرع عاد فاختار ما نضج وجاد من بزرهما عادلًا عن سواهما فكرَّر زرعها. وهكذا لم يزل سنةً بعد اخرى يحسّن جنسها الاصلي الى ان نال بعنايتهِ وتربيتهِ انواعاً من الشمندر والجزر بعضها ناعم لطيف لماشيهِ وبعضها خشن كبير الحجم لماشيتهِ ودواجنهِ. ومنها متوسطة الحجم كثيرة الحلاوة يستخرج منها السكَّر. واشكال غيرها يعرفها ارباب الفلاحة ويحرصون على حفظها سليمةً بل يُعنَون بتحسينها. وهم يعلمون بانها سوف تفقد خواصّ تربيتها اذا ما أُهملت فتعود الى حالتها البريَّة التفهة

وما صنعهُ الانسان للشمندر والجزر تولَّاهُ ايضاً مع غيرهما من المزروعات كالبطاطا والبندورة والملفوف ومع الغلال والحبوب كالحنطة والشعير ومع الزهور كالدالية والورد الخ. فالانسان بما خصَّهُ الله من العقل والتمييز يبتكر كل يوم وسائط جديدة لتحسين مواليد الطبيعة. فانَّهُ يختبر مثلًا بالامتحان انَّ بعض المزروعات قابلة التحسين باختيار بزرها والعناية بتربيتها في تربة صالحة ذات سماد حسن لا يلبث ان ينال جنساً افضل ينبذ منهُ الدون ويعالج الحسن فيبلغ بهذا الاختيار المتوالي انواعاً ممتازة بخواصها الغذائيَّة الطيّبة

هذا وفي اواسط القرن الماضي قام دروين وانصاره فاذاعوا انَّ ما يفعلهُ الانسان بقوّة عقلهِ تقوم بهِ الطبيعة بقوّتها الغريزيّة وذلك منذ اوّل الدهور. زعم دروين انهُ كان في بدء الخليقة اجناس قليلة من النبات والحيوان امَّا تبعتهُ المادّيون فزعموا انهُ لم يكن في الاوّل الّا مبدأ واحد من الحياة نَجَمَ من الجماد صدفةً فتحوَّلت هذه الاجناس الاصليَّة او هذا الموجود الحيويّ الوحيد بتمادي الاجيال من جنسٍ ادنى الى جنسٍ افضل واسمى ومن هامَّة صغرى الى حيوانٍ اعظم واكمل فتلف الضعيف وثبت الشريف الى ان حصلت بهذا الترقي كل اصناف النباتات والحيوانات التي نجدها اليوم متفرّقةً في اربع خوافق المعمور ويؤيدون قولهم بما يرونهُ من التشابه بين مواليد الطبيعة كشبه الانسان بالقرد فيزعمون انَّ اصلهُ منهُ كما انَّ القرد من حيوان آخر دونهُ كمالًا وهكذا بالتسلسل الى ان يبلغوا الى اوّل اصل الحياة

رأيت انَّ تحسين النبات قد توفَّق اليهِ الانسان بهمّتهِ واجهاد فكرتهِ وثباتهِ وهو لم يغيّر طبيعة النبات لكنَّهُ استخرج منها خواصَّ كانت طبيعتهُ مستعدَّةً لابرازها بالعناية. امَّا الدروينيّون فعلى خلاف ذلك فأنَّهم ينفون توسّط عاملٍ عاقل وينسبون الى الطبيعة قوَّة تحويل العناصر بعضها الى بعض. وهو زعم بلا سند لا يرضى بهِ العقل الصائب

الوسائط التي يتوسل بها الانسان لترقية الحيوان

واذا ما قابلنا بين تربية الانسان للنبات وتربيتهِ للحيوان وقفنا على سرّ نباهة الحيوان وخواصهِ الاكتسابيَّة. وجدَ الانسان مثلًا في اوّل امرهِ بقرةً وثورًا بريّين فاهتمَّ بامرهما وتعهَّدهما بالعلف الطيّب فكان نسلهما آلف طبعًا وألين عريكةً يأنس بالانسان منذ صغرهِ والانسان يُحسن طعامهُ وينظّم عليقهُ فنشأ اشدّ قوَّةً واغزر حليبًا. أفلا ترى كل يوم ارباب المواشي كيف يحسّنون اجناسها ويداورونها على مقتضى ما يريدون منها. فمن البقر مثلًا ما يعدُّونهُ للفلاحة ومنها لاستدرار الحليب وغيرها للاجترار والطعام. ومثلها الخيل فانَّ منها ما يربَّى للركوب او لاقتحام العدوّ ومنها ما يُستحضر لجرّ الاثقال ومنها ما يتَّخذ للالعاب وهلم جرًّا. فالانسان بحسن اختيارهِ لافرادها وفحول نتاجها وبجمعهِ بين اجناسها المختلفة ينال من مواليدها خواصّ

معلومة يقصدها منها . والدليل على قولنا انَّ بعض الدول الاوربيَّة تنفق المبالغ الطائلة لتستورد من بلاد الشرق الجياد العربيَّة الاصيلة فذلك لأن الخيل التربيَّة مع قوَّتها الشديدة لا تقوى على مقاساة التعب زمناً طويلاً بخلاف الخيل العربيَّة فانَّها خفيفة الحركة طويلة الاناة صبورة على الجوع والعطش فاذا تناسل الجنسان تولَّد منهما جياد حسنة جامعة بين صفات الجنسين كما ترى في الخيل الفرنسوية والانكليزيَّة

فهذه الاعمال التي ذكرناها من اختيار ضروب الحيوان وتوليد اجناسها بعضها من بعض هي اوَّل الوسائط التي استعان بها العقل البشري لتربية الحيوان وتأهيله

ثم انَّ للانسان واسطة ثانية لتذليل الحيوان الجموح وهي ترويضهُ . فانَّ معظم اجناس الحيوان كانت في اصلها بريَّة وحشيَّة تأوي الى القفار فلم يستطع الانسان ان يؤَهلها ويستعين بها الَّا بكسر جماحها وترويضها . ولمَّا كان الانسان اضعف قوَّةً واصغر جسماً من كثيرٍ منها استعان بعقلهِ للفتّ في عضدها وكسر شوكتها وسَوقها على مشيئتهِ لتضحي طوع بنانهِ

قد قرأنا آخراً في بعض الجرائد ما يصنعهُ رُعاة جبل الألب ليصونوا نفوسهم من أذى قطعان المواشي التي يرعونها هناك ويهملونها سارحةً على هواها مدَّةً قسم كبير من السنة فتصبح بذلك شرسة الطباع كثيرة الاذى ولاسيَّما الثيران . فاذ عرف الرعاة شرَّها اذا نطحتهم بقرونها فانَّهم يعمدون اليها وهي فتيَّة السنّ فيمسكونها بقرنيها ويلوون رؤوسها ليًّا شديدًا تتأَثر منهُ ألمًا ينطبع ذكرهُ في مخيلة الثور ولا يعود يقترب من الراعي حتَّى بعد كبرهِ وحينما يستطيع ان يصرع راعيهُ بضربة واحدة من قرونهِ خوفاً من تكرارهِ ذلك الفعل المؤلم . وبهذا ترى انَّ الحيوان يجري على مجرَّد الوهم كما ترى ايضاً انهُ لا يدرك اشتداد قوَّتهِ مع ترقيهِ في السن وغاية ما انطبع في ذاكرتهِ انَّ الانسان اقوى منهُ واشدّ مراساً فلا يجسر ان يتقرَّب منهُ

ولهؤلاء الرعاة حيلة أُخرى في اتقاء أذى الكباش وضرب قرونها . ينصبون على طريق الكباش حجارةً ضخمة ويجعلون عليها عباءهم ويختفون هم وراءها الَّا رأسهم الذي يعلو فوق الحجارة فيهيّجون الكباش فتراها عند سماع الصوت تثور وتهجم على الصخور المكتساة بالعباء فتنطحها بشدَّة فيصيبها في جبهتها المٌ يثنيها بعد زمن قليل من العود الى الضرب وهي ترى الراعي في هيئتهِ ولا تفرق بين تهويلهِ وصورتهِ الحقيقيَّة

ولنا مثال آخر في الخيل البرّيّة التي تسرح في مفاوز اميركة الجنوبيّة وهي تتناسل من الافراس التي ادخلها الفاتحون الاوّلون عند دخولهم تلك الاصقاع فعادت في البراري الى حالة وحشيّتها القديمة . واذا اراد الجنود الموكول اليهم امرها ان يقبضوا على بعضها احاطوا بها ثمَّ سعوا الى توجيهها الى مدخل حظيرةٍ مغروسة بالاوتاد في طرفيها . فالمدخل واسع رحبٌ في اوّلهِ ثمَّ يتدانى خطَّا الاوتاد وينتهيان الى حظيرة يمكن إقفالها . فالخيل اذا احسَّت بعدوّها تنفذ في المدخل المذكور حتَّى تنتهي الى الحظيرة فتوصد وراءها ويقترب حينئذ الجنود فيلقون ربقتهم حول قوائمها ويطفرون فوق متونها ويتشبَّثون بعرفها ثمَّ يثبون فوقها البطاح وهم يضربونها بشترة سياطهم ويغمزون كلاكلها بالمهماز ساعاتٍ الى ان يعيا الجواد مجهودًا فيسكن او يهبط كَلًّا فيُسرع الراكب الى مقودٍ يجعلهُ حول عنق الفرس ويجعل الشكيمة في فمهِ وباجمهُ فيصبح اذ ذاك في قبضتهِ فيروضهُ بعض الدفعات الى ان يصبح طوع امرهِ مروضًا فيتَّخذهُ لما شاء من حاجاتهِ على اختلافها حتى يقودهُ الولد الصغير ويركبهُ فيجري بهِ حيثما اراد وذلك لأنَّ ما لقيهُ من الضنك والقهر لاوّل مرَّة قد انطبع في مخيّلتهِ فيكفُّ عن الجموح والنفور . وكل ما يصنعهُ بعد ذلك انَّما هو نتيجة تربية الانسان وفعل عقلهِ لا حصَّة فيهِ لغريزة الفرس

فهذه المقابلة بين طبيعة الحيوان وفطرتهِ وبين عقل الانسان واحتيالهِ تبيّن جليًّا ما لكلّ منهما من الفعل الخاصّ فانَّ غريزة الحيوان تدفعهُ الى الهرب فالانسان يسعى بتوجيه سيرهِ الى نقطة معلومة . يدفع الوهمُ الحيوان الى ان يسير السير الحثيث في البطاح وهو لا يرى انَّ سيرهُ هذا يضعف قواه فالانسان العالم بما سيؤول الفرس من العناء يتَّخذ ذلك وسيلةً لكبح جماحهِ ولبلوغ غايتهِ . ولو كان للفرس ذرَّة من العقل لعرف قوَّتهُ وفكَّر في اخذ ثارهِ من عدوّهِ واستخدام سرعة قوائمهِ لينجو من عبوديّتهِ ويستعيد حرّيتهُ . على خلاف الانسان الذي يحوّل تلك السرعة وتلك القوَّة لمنفعتهِ الخاصَّة

فكفى بهذه الامثلة شاهدًا على بيان ما قلناهُ عن الواسطة الثانية التي يتوسَّل بها الانسان لتأهيل الحيوان اعني بها الترويض

ثمَّ انَّ في الحيوان نفسهِ استعدادًا لترقية خواصّهِ الوهميَّة . فالقرد مثلًا من طبعهِ مؤهَّلٌ لتقليد ما يراهُ وقد لاحظ ذلك كتبة العرب واخبروا لتأييدهِ عدَّة اخبار قد وافقهم على صحّتها المحدثون . فاذا اخذهُ الانسان في خدمتهِ وعُني في تربيتهِ يتقلَّد ما

يشاهدهُ من الاعمال ولاسيَّما اذا مرَّنهُ عليها صاحبهُ بالتمرين المتواتر · فنسبةُ هذه الاعمال الى عقل القرد شططٌ · فاذا رأيناهُ اذًا يقتدي بالانسان في ذهابهِ وايابهِ وفي جلوسهِ على المائدة واكلهِ وشربهِ فكلّ هذه الاعمال توافق طبعهُ الغريزي يعملها بقوّته التقليديَّة دون ذرَّةٍ من العقل والتميز لأنَّ مخيّلتهُ تأثرت من نظر الاعمال المذكورة فيعيدها كما رآها لا يفقه معناها كما تكرّر الببغاء ما تسمعهُ دون فهمهِ

وممَّا يُروى عن احد علماء الطبيعيَّات في باريس في القرن الثامن عشر انهُ كان ربَّى قردًا وأحسنَ تثقيفهُ حتى كان يُعدُّهُ كأحد اهل البيت · وكان المذكور قد جمع في حجرتهِ عددًا عديدًا من الحشرات والهوامّ والفراشات نظَّمها في علب مشكوكةً بدبابيس · فخرج يومًا وترك القرد في الحجرة سهوًا فلما غاب سيّدهُ حتى تهافت على الحشرات المغروزة والتهمها دون ان يخطر على بالهِ انَّ هذا المجموع عزيز على سيّدهِ تكلَّف في جمعهِ الاتعاب والنفقات الطائلة · على انَّ شرَهَهُ صاحبنا أدّى بهِ الى عطبهِ فانهُ لم يلحظ انَّ لكلّ حشرة دبّوسها او إبرتها فازدرد الهوامَّ مع ابرها التي نشبت في حلقهِ فخنقتهُ · فانظر يا رعاك الله مبلغ عقل هذا القرد الذي لم يدَّخر صاحبهُ وسعًا في تهذيبهِ وهو كما يزعم بعضُ الجهلاء شبيه بالانسان في نطقهِ · وكم حوادث أُخرى تدلُّ على بلاهة القرود وتغلُّب طبعها على تطبُّعها · ولنا في ذلك شاهد قريب في القرد الذي عضَّ صاحبهُ ملك اليونان اسكندر فكان علَّة موتهِ

ولعلَّ الكلب هو اوَّل الحيوانات الداجنة التي عُني الانسان بتربيتها · وليس من شأننا ان نبحث عن اصل الكلب أهو نوع من الحيوان مستقلٌّ بجنسهِ او هو من نسل حيوان آخر سبقهُ فباد اثرهُ · او هو بالاحرى من مواليد بني آوى (الواوية) اتَّخذهُ الناس في صغرهِ وربّوهُ وثقَّفوهُ فاكتسب صفاتهِ الالفيَّة واورثها صغارهُ · وممَّا لا يُنكَر انَّ بين الكلب وبعض اجناس بني آوى او الذئاب ايضًا شبهًا تامًّا كما يعلمهُ اللبنانيُّون · وفي الحبشة جنس من بني آوى يشبهُ الكلاب السلوقيَّة الطويلة القوائم فمن المحتمل انَّ الكلاب متسلسلة عنهُ

ومهما كان من اصل الكلب فلا شكَّ أنهُ الحيوان الذي دخل عليهِ بفعل الانسان اكثر من سواهُ اختلافاتٌ عديدة في الهيئة والخواصّ العجيبة · فترى بين الكلاب ما هو مختلف الحجم مختلف اللون والوبر مختلف الصورة والشكل · منها الكلب

الوقوف للحراسة ككلب الرعاة الذي يقوم في وجه الضواري فتخافهُ السباع والناس ومنها الكلب الانيس الذي يرافق صاحبهُ ويُصبح لهُ ولاولاده صديقاً اميناً وملهاةً شائقة . ومنها ما يُعنى بإنماء حاسَّة شمّها فتستنشق رائحة الصيد من بعيد وتبحث عن صاحبها فتجدهُ رغماً عن ابتعاده . كما انها تعرف حوائجهُ فتأتي بها اليه وتصونها . وقد اهتمَّ بعض مقتني الكلاب في تقوية اعصابها فتصبح من اسرع الحيوانات ركضاً واطولها نفساً . وفي بعض البلاد يتخذون الكلاب لسحب العجلات الصغيرة الناقلة الى الاسواق محصولات الزراعة لبيعها او يُركبون فوقها احداث الاولاد . وفي البلاد الشمالية كلابٌ يطلقون بها المفازات المثلجة والجليدية وهي تجرُّ عربات يركبها السيّاح والرسلون الكاثوليكيّون لخلاص النفوس . هذا الى ما لا يُحصى من الخدم التي تؤديها الكلاب على اختلاف انواعها البالغة المئات من الكلب الصغير الذي يحملهُ صاحبهُ في جيبهِ ويتلهى بهِ في بيتهِ الى الكلب الكردي او كلب الارض الجديدة الشبيه بضواري السباع

فكيف يا ترى تمكَّن الانسان من ان ينال كلَّ هذه الاختلافات والتحوّلات ؟ انَّما بلغ الى ذلك بدرسه لطباع الكلاب وغرائزها الاصليَّة فاختار بينها ما وجدهُ قابلاً لبعض الخواص والصفات فاجتهد في تنشيتها بالتمرين والتثقيف والتربية الافرادية . ثم سعى بان يجمع بين اجناسها المتقاربة لتتولَّد منها اشكال جديدة بعد ان أُلقي منها ما لم يجدهُ صالحاً لغايته . فنتج عن تلك المساعي انهُ نال انواعاً مختلفة ذات صلاحية لامور شتّى . وهكذا جرى لهُ في دواجن الحيوان التي تألف بيتهُ . وقد حصل على ذلك كما حصل على انواع النباتات السابق ذكرها التي عُني بفلاحتها وزرعها فأولاها بهمّته خواص جديدة توارثها النبات النامي من بزرها . فعلى مثلها اكتسب الحيوان تلك الصفات التي استخرجها الانسان من غريزته القابلة لها . ومن المعلوم انَّ هذه الخواص ان لم يواصل الانسان اعتناءهُ في حفظها وصيانتها تُفقد بعد زمن قليل حتّى يعود النبات والحيوان الى ما كانا عليه من حالتها البريّة والوحشيَّة

ففي مثل الكلاب وما طرأ عليها من اختلاف الاحوال برهانٌ حسّيٌ على ما للحيوان من التربية وعلى ما يستطيع الانسان بعقله ان يستخرجهُ من تلك الغريزة . وهل يا تُرى منذ القرون الطويلة التي صرفها الانسان في تربية الكلاب فتمكَّن من

جعلها رفقاء له وجلساء. اصاب واحدٌ منها ذرّةً من العقل ليتّخذ الداروينيّون ذلك دليلًا على مذهب النشوء والارتقاء؟

انّ الجواب على ذلك سلبيٌّ محضاً . ولنا على هذا الف دليل. اخبروا ان كلباً كان صاحبهُ عوّدهُ على حراسة ما يُجعل بين يديهِ من طعام وغيره فلا يمسّ منها شيئاً الّا باشارتهِ فنسيهُ صاحبهُ يوماً في بيتهِ وعلى المائدة قطعةٌ من اللحم وسافر الى بلدٍ آخر ولم يرجع الّا بعد حين فلمّا دخل بيتهُ رأى اللحم سليماً والكلب ميتاً بقربهِ جوعاً

فاستنتج المدافعون عن فهم الحيوانات انّ هذا الكلب اعرب عن تمييز وعقل فآثر الموت على مسّ اللحم قياماً بوصيّة سيّدهِ

امّا نحن فنحمل عملهُ بالعكس على بلاهتهِ وخلوّهِ من العقل . فلو كان عاقلًا لفكّر في نفسهِ انّ صاحبهُ اقفل بابهُ وسها عنهُ فلا يريد موتهُ بل يحقّ لهُ ان يتغذّي باللحم الذي بقربهِ ولا يعرّض نفسهُ للتلف . لكنّهُ جرى على سابق تأثيراتهِ الحسّيّة وما لقيهُ من زجرٍ او ضرب معلّمهِ لمّا كان يخالف اوامرهُ . وشتّان بين هذا والعقل

مبلغ الوهم ومبلغ العقل

انّ الانسان اذا رأى في الحيوان اعمالًا تبعثهُ غريزتهُ على ابرازها او اعتادها بالتربية والتثقيف ينسب ذلك الى العقل لما يجد فيها من الشبه بالاعمال البشريّة . لكنّهُ مخدوع في حكمهِ هذا لانّ الاعمال البشريّة حتّى الصادرة منّا بحركة طبيعيّة لا تخلو من شيءٍ من فعل العقل إمّا مباشرةً لمّا اعتاد الانسان على تلك الاعمال الغريزيّة وامّا ضمناً باندماج العقل واختلاطهِ بالفعل . ثمّ انّنا نحكم في عمل الحيوان نعيرهُ من تلقاء ذاتنا نيّةً دافعة لهُ عليهِ لأنّنا قد اعتدنا ان نجري مثل هذا الحكم في اعمالنا البشريّة

قد رأى كلٌّ منّا كلباً اكل كفايتهُ فشبع وفضلَ عندهُ كسرة من الخبز فلا يدعها بل يأخذها فيطمّها في بعض انحاء الجنينة . فمن يعاين عملهُ هذا يحكم في فكرهِ قائلًا : « نِعمَ ما فعل هذا الكلب فانّهُ احسّ بشبعهِ حاضرًا فاراد ان يدّخرها قوتاً ليوم آخر لعلّهُ لا يصيب طعاماً» لكنّ هذا القياس نبنيهِ نحن في عقلنا لما نجدهُ من الشبه بافعالنا لمّا ندّخر لغدنا شيئاً من مأكول اليوم . فانّ الحيوان لا يدرك معنى الزمان ومن المعلوم انّ الكلب كبقيّة الحيوانات اذا شبع او اعتلّ يمتنع عن الأكل وبهذا يفضل

على كثير من الناس المزيّنين بالعقل والذين ينسيهم الشره عقلهم في الأكل والشرب. وان سألت ما هو اذن سبب اخفائهِ لفضلة طعامهِ؟ اجبتك انّ هذا شيء من وهمهِ لا ادري له تعليلا وان شئت اسأل الزاعمين بمعرفة لغة الحيوان لعلّهم يفيدونك عن سبب فعلهِ. امّا انّ فعلهُ مجرّدٌ وَهْمٌ فيتبيَّن من كونهِ لا يبحث في الغد عمّا خبأهُ لياكله. وان وجدهُ بالصدفة فانّما استدل عليهِ بحاسّة الشمّ كما يستدلّ على اي طعام كان سواه

وممّا روته مجلّة كوسموس (le Cosmos) في احد اعداد سنة ١٩١٤ انّ احد عمّال ملك سكسونية الموكّل على كلاب الصيد لسيّدهِ افرغ جهدهُ ليعلّم واحدًا منها بعض حروف الهجاء. مثل «اي ولا» ثمّ أسمعهُ عدّة اسئلة وعلّمهُ ان يجيب عليها باحدى الكلمتين فعُدّ ذلك لدى بعض اساتذة المانية كآية دالّة على عقل الكلب لكنّهم ما غيّروا قليلًا ترتيب السؤالات او اضافوا اليها شيئًا حتّى نسي الكلب كلّ علمهِ واضحك سامعيهِ بسوء اجوبتهِ. وقس على ذلك ما روتهُ سابقًا مجلّتا المقتطف والهلال عن بعض الحيوانات الناطقة او الحاسبة فقد شدّد المشرق مزاعمها وما لبث ان ظهرت الحقيقة وعُرفت حيلة معلّمي تلك الحيوانات

وما قلناهُ عن تثقيف الانسان للحيوان لا يدلُّ على انهُ يريد ان يولي الحيوان قوًى جديدة بل غايتهُ فقط ان يتّخذ ما طُبع عليهِ الحيوان من القوى الغريزيّة من اصلهِ ليستخدمها لمنفعتهِ

لنا مثال على ذلك في بيض الطيور فانّ الطبيعة خوّلتها البيض لصيانة نسلها فاستفاد الانسان من تلك القوّة لخيرهِ الخاصّ وسوّل للطائر بان يبيض بيضاً اكبر حجماً واكثر عدداً ليتمتع هو منها لطعامهِ قبل حضانتها

ومثلهُ الحليب في ذوات الاثدية فانّها تدرّ حليبها لطعام صغارها فوجد الانسان انّ حليب البعض منها يحسن لغذائهِ فاختار بينها ما رآهُ ادمث خلقاً قابلًا للتربية فسعى في اصلاح طعامها ثمّ افرز ما كان اقوى بنيةً فصارت تدرّ له حليباً اغزر من ذي قبل اذ كانت في وحشيّتها فاغتذى بهِ واطعم صغارها قوتاً غير الحليب ارخص ثمناً

فهذه الطرائق من حسن الاختيار وجودة التربية بلّغت الانسان الى تحسين اجناس الحيوان كالضان والمعز والبقر الخ ليربح لبنها ولحمها وصوفها. واذ وجد في الخيل والجمل والفيل قوّة عظيمة تمكّن من تربيتها ليستفيد من تلك القوّة. لمّا از الكلب

بحاسة الشمّ وغريزة الصيد وغير ذلك من الخواص فصرفَ الانسان تلك الصفات لاصطياد الوحوش ولاستخراج الكمأة من الارض ولحراسة داره ومواشيهِ. طُبعت المرأة على اقتناص صغار الحيوان مع ما خُصَّت بهِ من حسن البصر لئلّا فاتخذها الانسان لخدمة بيتهِ وتنظيفهِ من خشاش الحيوان . وفي اميركة الجنوبيَّة حيث لا يعيش القطّ يتّخذون بدلاً منهُ حيَّة ضخمة تقوم مقامهُ كما يستبدل المصريون القطَّ بالنمس . وعلى هذا النمط يستطيع الانسان على مقتضى الازمنة وحالات البلاد ان يستخدم المخلوقات التي دونهُ . فيستعين بالجمل في البلاد الشديدة الحرّ وبالأيائل في القارسة البرد وهلم جرًّا . ومن هذا كلّهِ ترى الفرق بين وَهْم الحيوان الضيّق الدائرة وعقل الانسان الواسع النطاق الذي يصرف الكائنات الى تتميم رغائبهِ

وما لا شكّ فيهِ ان معظم دواجن الحيوان ما بلغت الى ما هي عليهِ من الائتلاف وتحسُّن الحال الّا بمساعي الانسان الذي جوّد طباعها الغريزيّة . على ان البعض منها فقدت بتأهيلها وتربيتها شيئاً من اخلاقها الاصليّة . فان ديك الحبش مثلًا اطيبُ لحماً واجمل ريشاً في حالتهِ الوحشيّة منهُ داجناً . وكذلك البطّة الوحشيّة احرص على حضانة بيضها من البطّة الاهليّة بخلاف الدجاجة الحريصة على الحضانة حتّى انّها تتلف في عملها ان لم يراقبها اصحابها . على ان الانسان اكسبَ انثى ديك الحبش صفةً جديدة بأن دفعها الى حضانة البيض كلّما شاء. وفي ذلك من الفضل ما لا يخفى اذ يمكنهُ ان يحصل على الفراريج في كلّ فصول السنة حينما يغلو ثمنها . وفي بعض البلاد يرتزق الناس بجمع اناث ديوك الحبش فيؤجرونها من شاء حضانة بيض دجاجهِ

وخلاصة الكلام ان ما يحدث من تنمية القوى وتحسين الصفات في دواجن الحيوانات التي يختصُّها الانسان بخدمتهِ لا تصحّ نسبتهُ الى الحيوان نفسهِ بل الى حذاقة الانسان . فلو كان اتّصل اليها الحيوان من تلقاء نفسهِ لجاز القول ان الحيوان يترقّى ويزيد كمالاً ولأمكن تبعة دروين ان يثبتوا نوعاً مذهبهم في النشوء والترقي وينكروا تكوينها من الخالق كما يزعمون الآن دون ادنى دليل . والصواب ان هذا الترقي المزعوم في الدواجن انما عاملهُ الوحيد هو العقل البشري ليس الّا

قال احد علماء عصرنا في هذا الشأن : « قد تسلّط الانسان على الحيوان واستعان بإوجدهُ حولهُ من الوسائط كأحوال الزمان والمكان والطعام فغيَّر نوعاً طباع الحيوان

دون ان يُحاوِل من تلقاء ذاتهِ ان يحسّن حالهُ . فنال هذا التحسين من غيرهِ وهو لم يُظهر بعلامةٍ ما كونهُ عالماً بهذا التحسين او راغباً فيهِ كالشجرة التي يلوي الانسان اغصانها ويسعى بتشكيل زهورها كما يشاء . فعاملُ التحسين في الحيوان ليس هو فيهِ ومنهُ بل هو خارجاً عنهُ . لا يسعى وراء الكمال ولا يدركهُ وانّما هو مَسوقٌ اليهِ ... وبكلمة واحدة نقول قد ثبت ان اكل الحيوانات ولو حصلت في اوفق الظروف وانسب الاحوال لا تعي شيئاً من امر ترقيها ولا ترمي اليهِ بمشيئتها وادراكها(١ .

ترجمة يوسف الاوّل بطريرك الكلدان

١٦٨١–١٧٠٧

لباسيليوس عبد الاحد مطران آمد

توطئة

في مكتبة الكلدان في ديار بكر كرّاس صغير يحتوي على ترجمة حياة البطريرك يوسف الاوّل الذي كان مطراناً نسطوريًّا فارتدَّ الى الكثلكة بعد ان ثبت لهُ صحةُ ايمان الكنيسة الرومانيَّة فاقامهُ البابا اينوشنسيوس الحادي عشر بطريركاً على الكلدان الكاثوليك سنة ١٦٨١ فسكن مع خلفائهِ في آمد اي مدينة ديار بكر وكانت وفاتهُ سنة ١٧٠٧ (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٨٧٨–٨٨٠) . وقد لقي بارتدادهِ عدَّة محن وصفها احد تلامذتهِ باسيليوس عبد الاحد الذي اقيم كاتب بطريركي على آمد فسُقِّف سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٣٧ . فهذا اذ كان واقفاً على كل تفاصيل سيرة معلّمهِ سطّرها في هذه الفذلكة وهي اجمل اثر واصدق رواية لسيرة ذلك البطل الذي ثبت في الايمان مع ما قاساهُ من ضروب البلايا والاضطهادات كما سترى وذلك سنة ١٧١٩

ولنا على شهامة البطريرك يوسف الاوّل شواهد اخرى راقية الى عصرهِ منها ما كتبهُ السيد فرنسوا پيكه مطران سيزاروپل والقنصل لدولتهِ على حلب سابقاً لمّا مرَّ في ديار بكر في اواخر أيار سنة ١٦٨١ فاطرأ عليهِ ولشّع في محامدهِ وكتب في ذلك الى مجمع انتشار الايمان والى قنصل فرنسة في حلب . وكان بودّنا ان نعرِّب كلامهُ ورسائلهُ لولا ضيق المكان ٢) . اما السيرة

١) اطلب معجم الجدليّات A. d'Alès, Dictionnaire d'Apologétique, fasc. I. 126.

٢) راجع ترجمة المطران فرنسو پيكه La Vie de Messire François Picquet Paris, 1732. pp. 359-369 ثم مذكرات الكفاليار دارڤيو Mémoires du Chevalier d'Arvieux. Paris, 1735. VI. 95-122

التي ننشرها فهي لم تُطبع حتى الآن وانما ظهرت ترجمتها في اللغة الفرنسويّة لاحد الكهنة الكلدان في مجلّة الشرق المسيحي Revue de l'Orient Chrétien 1906, I, 66-90 وقد تصرّف بالاصل بعض التصرّف . امّا نسختنا فمنقولة عن الاصل في ديار بكر حيث نسخها بيده الطيب الذكر المطران طيموثاوس عطّار سنة ١٨٨١ فاهدانا ايّاها . اجزل الله ثوابهُ. وها نحن نرويها بحرفها مع اصلاح ما لا يُعبأ به من ضبط كلمة او مراعاة قواعد الاعراب. ل.ش

انّ مار يوسف الاول (١ بطريرك الكلدان كان مولده في آمد اي ديار بكر . وارتسم مطراناً على الطائفة النسطوريّة التي كانت في ديار بكر(٢ . غير انه في السنة ١٦٧٢ للمسيح تحرّك بإلهام روح القدس ان يرفع هرطقة نسطور . فقام عليهِ المعاندون ظاهرًا . واحتمل منهم الشتائم والحبوس والعذابات فلم يقدروا عليهِ . ولم يكن لهُ مساعد في هذا الحرب الشديد الّا الله وحدهُ ومريم العذراء والدة الله.

فابتدأ اولاً يكرز على جماعتهِ وينبّهم وينهيهم عن التكلّم في الكنيسة وان يكونوا في بيت الله بالخوف والاحترام كما يجب . لأنهم سابقاً كانوا يقفون في الكنيسة كوقوفهم في الاسواق والبازارات(٣ . وبعد ذلك كان يكرز على الاعتراف . ويقول: لا يجوز ان تتقرّبوا الّا وانتم نادمون معترفين بخطاياكم . وبعد ذلك رفع اسم نسطور من الكنيسة رفعاً كلياً

فلما سمع بذلك بطريرك النساطرة الشيخ ايليا (٤ الساكن في نواحي الموصل ارسل مكتوباً الى مار يوسف يستدعيهِ ان يمضي اليهِ قاصداً ان يقتلهُ . فهو لم يرتضِ بذلك

١) انّ لفظة «مار» لفظة سريانيّة وكلدانيّة ܡܪܝ معناها السيد تُقدَّم على اسماء البطاركة والاساقفة . امّا تسميتهُ بيوسف الاوّل ففيهِ نظر فانّهُ كان سبقهُ على كرسي جاثلقة بابل الكلدان يوسف آخر رُقّي الى السدّة البطريركيّة من السنة ٥٥٢ الى ٥٥٧م . ومن هذا القبيل قد دُعي يوسف الذي نحن بصددهِ في بعض الكتب يوسف الثاني الّا انّ الانسب ان يُدعى يوسف الاوّل لانهُ كان كاثوليكياً بخلاف الاوّل النسطوري واقام في آمد كما سبق . وخلفهُ اربعة بطاركة باسمهِ (اطلب تاريخهم في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٨٠—٨٨٣)

٢) ترقّى يوسف على يد احد الكهنة الافتيا. اسمهُ عبد الاحد بن شلب ثمّ تردّد على المرسلين الكبوشيين الذي كانوا يبشرون بالايمان في ديار بكر فارتدّ الى الكثلكة بعد ان تبيّن صحتها وضلال النساطرة سنة ١٦٧٢ ٣) البازار لفظة فارسيّة بمعنى السوق

٤) هذا الشيخ ايليا هو الثامن بن اسمهِ خلف على كرسي بابل سنة ١٦٦٠ ايليا السابع الذي كان ارسل صورة ايمانهِ الى الكرسي الرسولي سنة ١٦٥٧ فرجع ايليا الثامن الى اضاليل نسطور وتوفي في سنة ١٧٠٠ (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٢٧)

ولا راح لعنده لانهُ عرف بمكرهم . فلمّا نظر الشيخ اليًا انهُ لم يمضِ اليهِ جمع بعض اناس اشقياء سافكين الدم وتشاور معهم . وهم ارسلوا الى مار يوسف واحداً من شيوخهم لكي يرجعه عن مقصدهِ . لكن الشيخ ما قدر يزعزع مار يوسف عن ايمانهِ ولا ان يعزل الرعية الصالحة من راعيها . واما البعض الذين تثنّوا هراطقة وما تبعوا مار يوسف كتبوا للشيخ اليا: قُمْ تعال الى دياربكر ونحن نساعدك

ولما رجع الشيخ الى الشيوخ الذين ارسلوهُ اشتدَّ غضبهم على مار يوسف واقنعوا الشيخ اليا ان يقوم من ديرهِ ويأتي الى دياربكر . وقالوا لهُ: نجيءُ معك ونُعطي كل اموالنا للباشا ونقتل مار يوسف ونخلص منهُ . واجتمع مع الشيخ اليا مقدار خمسين رجلاً من الموصل ومن القرى وركبوا حميرهم (١ واتوا معهُ . ولما وصلوا الى ماردين اعطى مقدار جريمة (٢ الى الوَيْوَده (٣ لانه راكباً دخل الى الكنيسة . وبدأ يكشف غرضهُ ويزرع الفساد في ماردين . وذكر اسم نسطور وتزّل الصور من الكنيسة (٤ وبطّل قسيساً كان رسمهُ مار يوسف وارسلهُ الى ماردين

وارسل الى آمد وطلب مار يوسف ليحضر بين يديه الى ماردين . ومار يوسف ما قبل راح لانهُ كان عارفاً بمكرهم انهم يريدون ان يقتلوهُ

ولما سمع باشا دياربكر بقدوم الشيخ اليا الى ماردين ارسل طلبهُ الى دياربكر لانهُ سمع ان باباز (٥ النساطرة قد جاء وجاب معهُ غروشاً كثيرة . ففرح الباشا من هذا الخبر وارسل اليهِ بولوكين سكبان (٦ واتوا بهِ الى دياربكر وعزّهُ ولبّسهُ

١) كان ركوب الخيل في ذلك الوقت محظوراً على النصارى واليهود

٢) الجريمة الذنب والاثم . اي أعطى مبلغاً من الدراهم يُساوي مقدار ما يُفرض على مرتكب جريمة . ولعلّهُ اراد «مقدار جريب» والجريب يساوي ٣٨٤ مدّاً من الحنطة

٣) الوَيْوَده لفظة صقلبيّة (Vaivode) معناها الرئيس وكانت تطلق على رؤساء الفلاح والمِدان وقد استعملها الاتراك بمعنى رئيس الشرطة والمتصرّف

٤) النساطرة كانوا يكرمون الصور كبقيّة الطوائف الشرقيّة وفي كتبهم العتيقة صور جميلة الى يومنا الّا انّهم في القرون الاخيرة لوجودهم بين المسلمين والاكراد وبغضاً بالكاثوليك اهملوا اكرام الصور ٥) من اليونانيّة (πάππας) وهو ابو الاب اي الجد يطلقها الاتراك على بطاركة واساقفة النصارى ٦ البلوك بالتركيّة الفرقة من الجند . والسكبان والسكبان قسمٌ من الاقسام الثلثة التي كان يتألّف منها جيش الينكشاريّة . واللفظة فارسيّة معناها المتولّي على كلاب الصيد.

قبّاً(١ كان يساوي مقدار مائة غرش (٢ وارسلهُ · فمضى وطرد مار يوسف من الكنيسة وضبط الكنيسة · وجعل يفرض قوانينهُ · ورسم ان يذكروا اسم نسطور وحلّل زيجة اولاد العمّ والخال · وبطّل سنّة الاعتراف وصار حزن عظيم للمؤمنين · وكان وصوله الى آمد اي ديار بكر في شهر شباط (١٦٧٣)

فامّا مار يوسف فمضى وسكن في بيت قسيس من المؤمنين · فارسل الشيخ اليا وطلب مار يوسف ان يجيء ويقدّم لهُ الطاعة ويتصالحا · فاجاب مار يوسف وقال: نجمع الجماعة كلها ونضع بالوسط الانجيل وكل واحد منّا فليثبت كلامهُ من الانجيل · فردّ لهُ الشيخ اليا الجواب قائلاً : ما هو هذا الذي اريد · بل اريد ان تقبل اسم نسطور وتنكر ان مريم هي والدة الله · فمار يوسف ردّ لهُ الجواب وقال : قولوا للشيخ اليا: انا اقبل ان اتعذب واموت وما انكر مريم بانها والدة الله · ولا اقبل نسطور

فتشاور الشيخ اليّا مع شيوخهِ فاشتكى على مار يوسف عند الصوباشي (٣ · فأمر الصوباشي بوقوف مار يوسف والشيخ اليّا بين يديهِ · وصار مجادلة كثيرة قدامهُ · فمار يوسف كان فصيح اللسان وثبّت من الانجيل ومن العقليّات ان الشيخ اليّا وتابعيهُ هم مخالفون قول الانجيل والرسل والكنيسة · وما هم بفعلهم لا نصارى ولا يهود ولا مسلمين · حتى تعجّب الحضّار · فالصوباشي اطلق مار يوسف لحال سبيلهِ

فعند ذلك الشيخ اليّا ورفقاؤهُ اعطوا دراهم للمتسلّم (اي الوالي) وحبسوا مار يوسف وبعد يومين اخرجهُ المتسلّم من الحبس وارسلهُ الى القاضي لكي يتحاكموا وأعطوا ايضاً الى القاضي رشوةً عظيمة لكي يجري بقصدهم اي ليحكم على قتل مار يوسف · وقال الشيخ اليا : ان هذا كان تلميذي واليوم يخالف امري ويتمرّد عليَّ وما يطيعني · فقال القاضي لمار يوسف : لماذا ما تطيع معلمك وتخالف كلامهُ · فاجاب مار يوسف قائلاً : اولاً هذا الشيخ ما هو معلّمي ولا قرأت عندهُ ولا يعرف العربي ولا التركي · ثانياً انهُ ما يحفظ كلام التوراة ولا الانجيل · ولا قوانين الكنيسة الواحدة الجامعة المؤسّسة من عيسى المسيح

---

١) اراد « قبا » وهي كلمة فارسية معناها الجبة والرداء
٢) كان الغرش في ذلك الوقت يساوي ريالاً . واللفظة المانيّة (Gruschen)
٣) الصوباشي عند الاتراك هو مثل كوميسار البوليس في عهدنا ورئيس الشرطة

فبعد مجادلات كثيرة امر القاضي : ان كل واحد منكما يكتب اعتقاد دينهِ ويوم الغد تحضران عندي . فقال مار يوسف : « ايها القاضي العادل . فليكتب اولاً الشيخ اليّا اعتقادهُ لكي تقدر تحكم في اي شي هو مُدَّعٍ وفي ايّ شي انا مخالف لهُ . وهل الشي الذي انا مخالف لهُ يخالف ايضاً الانجيل ام يوافقهُ . وانت ايها القاضي تعتبر الانجيل اهل ترضى اني اخالف الانجيل واتبع شهوة فرد انسان » . فامر القاضي ان يكتب الشيخ اليا اولاً واطلقهما

غير ان الشيخ كان يخاف ان يُظهر اعتقادهُ وما كان يعرف ماذا يكتب

ولما كان غد ذلك اليوم صباحاً ارسل الشيخ اليّا مبلغاً كبيراً من الدراهم الى القاضي كي لا يلزمهُ بالسؤال عن اعتقادهِ بل يُلزم مار يوسف . وعند نصف النهار حضرا امامهُ فسأل القاضي مار يوسف : مَذهب مَنْ تتبع انت ؟ فقال مار يوسف : « انا اتبع المذهب الذي علّمهُ المسيح الى رسلهِ ووضعهُ في كنيستهِ الجامعة . ونسبي كلداني » . فسأل القاضي من الشيخ اليّا وجماعتهِ : انتم مذهب مَن تتبعون . فقالوا : نحن نساطرة ونتبع نسطور . فقال مار يوسف : « احكم انت ايها القاضي . هل يجوز ان أترك المسيح وكنيستهُ واتمسك بنسطور . ومَنْ هو هذا نسطور » . فغضب الشيخ اليّا وجماعتهُ وقالوا : « انت ما عليك منّا ومن مذهبنا . فنحن يهود . انت لماذا لا تطيع شيخنا وكبيرنا : » فحالاً مار يوسف تنحّى عن جانبٍ وقال للقاضي : « يا مولانا القاضي . ان هؤلاء يقولون بأنهم يهود . وانا ليس لي دعوى مع اليهود . انا نصراني مسيحي . اترضى ان اكون يهودياً » ! عند ذلك نظر القاضي الى الشيخ اليّا وجماعتهِ بوجه الغضب . فخافوا كثيراً فأقرّوا بالرمز الى القاضي برشوةٍ اكبر لكي لا يعكس امرهم . فلمّا علم القاضي . سكت والتفت نحو مار يوسف وقال : جاوبني ما هو دينك ؟ قال : « انا متمسك بالدين الذي علّمهُ المسيح عيسى الى كنيستهِ الجامعة . والكنيسة ما تقبل نسطور بل قد لعنتهُ لانهُ ضادد الانجيل » . وقال لهُ القاضي : فاذاً لست انت نسطورياً . فقال : « حاشا ان اكون نسطورياً . انا مسيحي اي عيسوي وابن كنيستهِ الكاثوليكية ونسبي من الكلدان . وانت ايها القاضي ألست تعتبر عيسى » . فقال : نعم . قال : « اتعرف من هو نسطور » . فقال : لا . فجاوب مار يوسف : « وانا كذلك ما اعرف نسطور وما هو »

فارسلهم القاضي ثانيةً الى الصوباشي لكي يصالحهم . فلمّا وصلوا اليه قال الشيخ ايليّاً لمار يوسف ان يقرّ بانهُ نسطوري . فاجاب مار يوسف وقال : « انني قد قلتُ لك بانني مسيحي كاثوليكي لا أقبل تعاليم نسطور قطعاً » . وبعد مجادلات كلّية ارسلهما ايضاً الصوباشي الى القاضي . فالقاضي سأل مار يوسف وقال : انتم النصارى اذا ما قبلتم تعليم نسطور تُحسَبون مذنبين ام لا . ولمّا القاضي سأل هذا الكلام كان اناس كثيرون حضّاراً من جماعة اليعاقبة والارمن المنشقّين . فقال مار يوسف : يا مولانا القاضي اسأل الحاضرين عن هذا . فجاوب اليعاقبة والارمن المراطقة وقالوا : كلّ من يحبّ نسطور ويقبل تعليمهُ فهو مذنب لانهُ أفسد ايمان المسيحيين وضادد الايمان . فامرهُ القاضي ان يعطي خطّ يده عن اعتقاده في المسيح . وكتب مار يوسف بيده : اني اقرّ واؤمن بان يسوع المسيح هو ابن الله الحي وانّ به اقنوماً واحداً وطبيعتين . فلمّا نظر الارمن واليعاقبة ان مار يوسف يقرّ بطبيعتين تركوهُ وخرجوا . فالقاضي كتب الاعلان : ان مار يوسف ما يقبل نسطور وما هو نسطوري . وطردهم من قدامه

ومضى الشيخ ايليّاً وجماعتهُ ورشوا المتسلّم ايضاً لكي يحبسهُ . فحبس المتسلم مار يوسف وامرهُ ان يُطيع الشيخ اليّاً ويصير نسطوريّاً . فقال مار يوسف : « يا مولانا لو قطّعتني إرباً إرباً ما اترك ديني الكاثوليكي » . وبقي محبوساً ثلاثة ايام . فاما محبّوهُ فأعطوا دراهم الى المتسلّم واخرجوهُ من الحبس

فبدأ مار يوسف يدور الليالي في بيوت المؤمنين الكاثوليكيين المشتّتين من خوف الظلم والجرائم . وكان يكرز عليهم ويثبّتهم على اعتقاد الكنيسة الرومانية ويشجّعهم ويقوّي قلوبهم . ثم انّ الهراطقة اشتكوا على قسيسٍ كان تابعاً لمار يوسف وكان يجول معهُ لخبسوهُ . وجماعة المؤمنين اعطوا شيئاً جزئياً للمتسلّم وخلّصوا القسيس ايضاً

غير انهُ بعد عشرين يوماً جاء باشا جديد الى ديار بكر . وشيوخ الهراطقة انتهزوا الفرصة وطلبوا منهُ ان يقطع يد مار يوسف او يدفعهُ لهم او يعذبهُ بعذاب الموت او يميتهُ دفعةً ولذلك اعطوا لهُ رشوةً كبيرة لهُ ولكاهياهُ (١ . وارسل الباشا حبس مار

١) الكاهيا والكاخيا والكيا والكخيا كلّها من التركيّة كَخيا وكَتخدا ومعناها الوجيه والمدير ومعتمد الوالي وكاتب سرّهِ

يوسف وزنجروهُ (١ بين اللصوص والمجرمين ·وطلب مار يوسف من الباشا ان يقف امامهُ ويبرّر نفسهُ من تهمات المشتكين عليهِ ويثبت بان الديانة الكاثوليكية التي هو متمسك بها هي الحقيقية ·وانّ النسطورية فاسدة

فما قبل الباشا ·لانهُ كان ارتشى من النساطرة بدراهم كثيرة ·بل أمر ان يعذبوه في الحبس ازيد من الاول ·فحصل فرح للجهتين اعني للنساطرة لانهم كانوا يرجون بان مار يوسف سيُقتَل في الحبس ·ولمار يوسف لانهُ لاجل المسيح استحقَّ ان يُعذَّب وينحبس ويُقتل

وكان انحبس مع مار يوسف ازيد من مائة شخص من المؤمنين ·وكان مار يوسف يعزّيهم ويقوّيهم في الحبس ويكرز عليهم كي يحتملوا ويصبروا على الضايقة والعذاب ويتّكلوا على الله ووالدتهِ الرحيمة ·وكان البولوك باشي (٢ يضربهُ بالعصيّ كل ليلة خمسين عصاً ويضعهُ في الطمرغ (٣ وهو كان شاكراً لله ومحتملاً كل هذه الاوجاع وما كان يفتر عن الصلوة ابداً · ولما كان في هذا الجهاد كان المؤمنون يجتمعون بين بعضهم بالخفية في احد البيوت ويصلّون لاجل راعيهم ولاجل اخوتهم المحبوسين

فقامت يوماً امرأة بينهم ووبّختهم قائلةً: «هذه ايام كثيرة وراعينا في الزناجير وتحت الضرب وانتم حتّى متى تسكتون ساكتين · عندي ولدان وليس عندي دراهم · اعطيكم ولديَّ · بيعوهما واعطوا ثمنهما في تخليص راعينا الصالح» · فخجلوا من كلامها وتشجّعوا · وقصدوا الباشا والتمسوا منهُ بإلحاح ان يخرج مار يوسف من الحبس ويتحاكم مع خصمهِ · فلمّا سمع الهراطقة ذلك قدّموا الى الباشا الف غرش لكي لا يصغي الى الكاثوليك بل يقتل مار يوسف لانهم قالوا: قد أفسد انجيلنا ورفع منهُ اشياء كثيرة

وامّا الباشا لكي يمسك حجّة بيدهِ على قتل مار يوسف تمسّك بقولهم بان مار يوسف أفسد الانجيل ولذلك امر ان يأتي امامهُ الشيخ اليا وكذلك مار يوسف ·ولمّا حضرا قال الباشا لمار يوسف: لماذا انت غيّرت الانجيل ورفعت منهُ بعض اسماء

---

١) اي قيّدوهُ بالزنجير اي بالحديد والسلاسل ٢) البولوك باشي اي رئيس الفرقة العسكريّة
٣) الطمرغ وبالتركيّة الطمرجة آلة عذاب كانت مركّبة من جسور غلاظ ذات براغي يجعلونها فوق الانسان وتحتهُ فيحصرونها بواسطة البراغي والزناجير حتّى تتفتّت العظام

وكلمات؟ فقال مار يوسف: «انا ما أفسدتُ قطّ الانجيل ولا رفعتُ منهُ شيئاً. بل كتاب الصلوات هم كانوا وضعوا فيهِ بعض اسماء مخالفة قد رفعتُهم». لان مار يوسف كان غطّى اسم نسطور وألصق ورقاً على اسمهِ وعلى بعض الفاظ تدلّ على هرطقة نسطور لكي لا تُقرأ

فلمّا نظر الباشا انهُ لا يوجد اثبات على مار يوسف بانهُ أفسد الانجيل غضب لانه كان يريد يجبر خاطر الشيخ اليّا ويقتل مار يوسف لسبب الرشوة التي كان اخذها. فامر من جديد بحبس مار يوسف بين اللصوص والقتلة. وفي ذلك الحين تفرّق عنهُ جميع اصدقائهِ ومحبّيهِ لسبب خوفهم من الباشا ومن الشيخ اليّا. وامّا مار يوسف فسلّم امرهُ الى السيد المسيح والى والدتهِ مريم العذراء عليها اشرف السلام. وبقي في السجن المنتن والزنجير في رقبتهِ والقيود في رجليهِ ويديهِ بين الاكراد والمجرمين

ولمّا نظر الشيخ اليّا وجماعتهُ انّ الباشا ما قتل مار يوسف رشوا السجّان لكي يجلدهُ ويعذّبهُ بنوع قاسٍ حتى يموت تحت الضرب. والسجّان بعد ما ارتشى ابتدأ في عذاب مار يوسف وكان يضربهُ بغير رحمة وبقساوة لا تُحتمل. وكان مار يوسف صابراً على هذه كلها في حبّ المسيح. وما كان يخرج من فمهِ الّا هذا الكلام: «يتمجّد اسمك يا رب. قوّ ايماني يا رب». وبأحكام الله الغير المدركة: رفع السجان بغتةً عينيهِ في ليلةٍ ما حين كان يضربهُ الى السقف واذا بتراب سقطَ منهُ فيهما. وحالاً ألقى العصاة من يدهِ وبدأ كالمصروع يزعق ويصرخ من الم وجع عينيهِ حتى تعجّب كلّ المحبوسين. فخرج من السجن ومضى واخبر البلوك باشي. وهذا مضى الى الباشا وقال لهُ: «ان هذا المطران غير مذنب وقد تعدّينا عليهِ. واخاف يا سيدي ان الله يقاصصنا لاننا ظلمناهُ».

وفي الحال ارسل الباشا وطلب الشيخ اليّا امامهُ واخرج مار يوسف ايضاً وارسلهما الى القاضي لكي يحكم عليهما بالشرع. فاجتمع كلّ المؤمنين الى المحكمة حتى صاروا مقدار ٣٠٠ نفس لينظروا المنتهى. فادّعى النساطرة بان مار يوسف قد بدّل الانجيل. فجاوب مار يوسف قائلاً: «ها هذا الانجيل معي. انظروا أمّا يوافق انجيلهم. انظروا هل يوجد فيهِ اسم نسطور. وانا ما رفعتُ اسم نسطور الّا من كتب الصلوات. المكتوب من الناس شيءٌ». فسأل القاضي الحضّار: هل يوجد اسم نسطور

في الانجيل ؟ فقال المؤمنون : « كيف يمكن ذلك . لان نسطور قد وُلد بعد الانجيل باربعمائة سنة وهو نسطور نفسهُ الذي خالف تعاليم الانجيل ولهذا حرمتهُ الابهات ونفوهُ من بين المسيحيين ولذلك نحن لا نقبل نسطور » . فقال القاضي : اذا كان الامر كذا ان هذا المطران ليس عليهِ ذنب

فحزن الشيخ اليأ وقال : « يا مولانا القاضي ان هـذا الرجل بدّل دينهُ وصار فرنجي (١ وفي نيتهِ ان يصير بطركاً بقوّة الفرنج » . فقال القاضي : « ان يصير فرنجي او ما يصير هذا مـا هو ذنب ديني » . ثمّ قال القاضي للذين تبعوا مار يوسف : هل انتم تقبلون نسطور ؟ اجابوا جميعهم : « نحن ما نعرف نسطور ولا نقبلهُ . نحن سريان الشرق اي كلدانيون . واذا يسمونا باسم فرنجي هذا خلاف الحق بلا سبب » . فقال لهم القاضي : ايّ واحدٍ تريدون من الاثنين مار يوسف ام الشيخ اليأ ؟ فمن خوفهم سكتوا . فقال واحد من القسوس : نريد الشيخ اليا . فاجاب مـار يوسف وقال : يا مولانا القاضي ان هذا القسيس ليس مسموعاً كلامهُ ولقد تقاصص خمس مرات من الحكّام لسبب سيرتهِ الرديّة وذنوبهِ

فقام شمّاس من تبّاع مار يوسف وقال : « يا مولانا القاضي ان كنت تسأل من الاغنياء والفقراء والرجال والنساء والكبار والصغار فرداً فرداً تراهم كلّهم يريدون مار يوسف ولكن الآن هم ساكتون لانهم يخافون من الشيخ اليأ . لان هذا شيخ اليأ قد قال : « جبتُ معي اربعين كيساً من الدراهم (٢ وكلّ من يحامي عن مار يوسف اهلكهُ مع بيتهِ وما ابطّل حتى اهلك مـار يوسف » . فقال القاضي للشماس : اتقدر تثبت كلامك ؟ قال : « نعم . انا اثبتهُ امام خمسين شاهداً » . فتعجب القـاضي وامر بتخلية مار يوسف وكان يؤمل ان الشيخ اليأ يعطيهِ ايضاً لكي لا يخلّي مار يوسف . ولكن الشيخ اليأ كان نفد ما عنده في الحاضر

ثم بعدهُ حكم القاضي وكتب : ان مار يوسف المطران يبقى في آمد ويحكم على ديار بكر وماردين وكل نواحيها . وان الشيخ اليـا حالاً يرجع الى الموصل ولا

١) كان النساطرة وغيرهم من اعداء الكنيسة الرومانيّة اذا قصدوا الايقاع باحد الكاثوليك اتّهموهُ زوراً عند الاتراك بانّهُ فرنجي لما كان يوجد من العداء والحروب بين الدولة والفرنج ٢) كان الكيس يساوي خمسمائة غرش

يتجاسر يحكم على المسيحيين في ديار بكر وماردين . ومار يوسف وجماعتهُ اخذوا الامر وشكروا الرب . ورجعوا من المحكمة بفرح الى قصر الباشا وعرّفوهُ حكم القاضي . حينئذٍ طلب الباشا من مار يوسف الفين غرش كي يلبسهُ الخلعة وينصبهُ مطراناً كالاول على الكلدان في ديار بكر وماردين . فمار يوسف ما كان عندهُ ولا بارا . فقال : يا مولاي ما عندي شي اعطيه . قال : اذهب ودبّر وجيبْ . حينئذ البادري يوسف رئيس الكابوجيين (١ في ديار بكر لمّا سمع بما امر الباشا جمع المؤمنين وترجّى منهم لكي يجمعوا بينهم هذه الدراهم ويعطوها دَيناً الى مار يوسف الى ان يسهّل له الرب ان يوفيها لهم . فارتضوا واعطى كلٌ واحد على قدر حالهِ . وقدّموها الى الباشا . والباشا البسهُ الخلعة وارجعهُ الى بيعتهِ ودخل الى كنيسة مار ثيون الشهيد بفرح وسرور

ورجع الشيخ اليأ الى قرية عين تنّور (٢ حيث اكثر الكلدان كانوا نساطرة وتشاور معهم كي يشكوا مار يوسف ثانيةً ويعطوا دراهم حتى يقتلوهُ . فكتبوا عرضحال وسلّموهُ بيد نساء شريرات وبواسطتهنّ قدّموه الى الباشا . فالباشا من نعمة تعالى ما قبل العرضحال وطرد النساء . وامر الشيخ اليأ ان يرجع حالاً الى الموصل وارسل معهُ فرد جاويش حتى يطلع من ارض ديار بكر وماردين . واطلق جميع المحبوسين الذين كانوا مع مار يوسف

واما مار يوسف فبعدما رجع الى الكنيسة لشلتهُ اوجاع مختلفة حتى قارب الموت . وبعد ان تعافى بزمان قليل انعزل الباشا وجاء متسلم جديد الى آمد . وكان الشيخ اليأ وصّى الهراطقة النساطرة : اذا انعزل الباشا وجاء غيرهُ اعملوا كلّ ما تقدرون

---

١) البادري اي الاب لفظة ايطالية (padre) كانوا يطلقونها على المرسلين اللاتينيين . وهذا الاب يوسف هو المعروف يوسف دي رويلي (P. Joseph de Reuilly) الذي قُتل شهيداً في دياربكر سنة ١٧٠٧ (راجع تاريخ الكبوشيين للاب هيلار : **P. Hilaire de Baranton La France Catholique en Orient, p. 195-197**

٢) عين تنّور قرية صغيرة غربي دياربكر على مسافة نصف ساعة منها وهي تُدعى اليوم عليْ بونار او علي بونار وكان النساطرة يسكنونها سابقاً ثم خلفهم الكلدان الكاثوليك فبقوا فيها الى السنة ١٨١٥ حيث هجم عليهم الاكراد فقتلوهم ولا تزال اثار كنيستهم على اسم مار قرياقوس باقية الى يومنا .

من الضرر لمار يوسف وانا ارسل لكم كلّ ما تصرفون من المال · فمضى كم واحد الى المتسلم الجديد وقرّروا له ثلاثة الف غرش كي يحبس مار يوسف · فحالاً الباشا الجديد أرسل وطلب مار يوسف · فقام من الفراش لانهُ كان مريضاً ومضى وحالاً حبسهُ الباشا في مكان مظلم والزنجير في رقبتهِ والقيود في رجليهِ ويديهِ · والرب اعطاهُ الشفاء والصبر في الحبس · والمراطقة ارسلوا واحداً اسمهُ داوود عند الشيخ اليا ليرسمهُ مطراناً على ديار بكر ويرسل معهُ دراهم لكي يماكسوا امر مار يوسف ويقتلوهُ

وفي تلك الاثناء اتى مطران نسطوري من القدس ذاهباً الى بلاد أورمي فأتى بهِ النساطرة الى الباشا والبسهُ الخلعة وأقاموهُ عليهم مطراناً الى ان يجيءَ داوود الذي أرسلوهُ الى الموصل · وبعد ذلك قالوا للباشا ان يطلب من مار يوسف ورقةً او يتنازل عن مطرنيتهِ او ان يُسلم اذا ادّعى في المطرنيّة او ان يعطي لهم دراهم مقدار ما يطلبون لكي يقبلوهُ رئيساً · فالباشا استدعى اليهِ مار يوسف وطلب منهُ هذه الشروط · فجاوب مار يوسف قائلاً: « اني ما أُسلم قطعاً ولو مزّقتني إرباً ارباً · ولا يجوز لي ان اعطي لهم دراهم لكي يقبلوني رئيساً · وما اجوز عن مطرنيتي على الذين يتبعوني لاني شرعياً قد صرت مطرانهم من طرَف الله » · فغضب الباشا عليهِ وارسلهُ الى القاضي وامر ان يأخذوا منهُ غصباً ورغماً عنهُ ورقةً يختم فيها على اسلامهِ اذا ادّعى بالمطرنة · فاخذوهُ عند القاضي

فمار يوسف من جهة كان مصمّماً على ان لا يعطي كذا ورقة ابداً ومن جهة اخرى كان متحققاً انهم سيعذبونهُ عذاباً شديداً للغاية · وسلّم جميع اموره بيد الله واتّكل على شفاعة العذراء والدة الله · وفي الطريق كان يصلّي ويطلب من يسوع المسيح ان يساعدهُ · ومن كثرة الضربات التي كانت تنزل على رأسهِ في الطريق اظلمت عيناه لان المراطقة كانوا حولهُ مثل السباع الضارية يضربونهُ ويشتمونهُ بكل انواع الشتائم المرّة ويعيّرونهُ ويهينونهُ · ومن شدّة الاوجاع وألم قلبهِ بقي جسدهُ مثل النار وصدرهُ يلتهب وافكارهُ في عذاب الليل المزعج · وكان يشجّع ذاتهُ كي لا يُظهر ضعفاً امام الاعداء · وكل اتكالهِ كان القاهُ على مريم العذراء · كي تخلّصهُ من مكر وشرّ المراطقة

ولما وصلوا الى المحكمة نظروهـا خالية لان القاضي والنائب كانا خرجا الى خارج المدينة للضيافة والتنزه . فأخّروا الـدعوى الى غير يوم. وهذا ما صار الأمن أحكام الرب حيث تأخر الشرّ. ومار يوسف ارجعوهُ الى الحبس والاشرار لم يكفّوا عن سوء فعلهم. ومار يوسف يقاسي الاوجاع الجسديّة وكان الدم يسيل من بطنهِ

امّا النـاطرة فكان بقي عليهم مقدار وافر من الديون وتحيّروا في امورهم. لأن داوود مـا كان رجع لكي يساعدهم . فخافوا من البـاشا والتزموا ان يُخرجوا مار يوسف من الحبس حتى هو يجمع لهم من بين الجميع دراهم . ولذلـك اخرجوهُ من الحبس وروّسوهُ عليهم. وهو لكي يظهر لهم محبّة الديانة الكاثوليكية اهتمّ وجمع المال وقسّمهُ على الجماعة ووفى دينهم

وبعد ما اوفى الدَّين الذي كان عليهم حضر داوود مرسوماً مطراناً من الشيخ اليا عليهم . فرشا الحكّام فعمي قلبهم بالرشوة وعاد النـاطرة الخوَنة فقبلوهُ وبأمر الباشا عزلوا مار يوسف مرّة اخرى من الكنيسة واجلسوا المطران داوود

فلمّا نظر مار يوسف ان الاضطهادات من كل جهة احاطت بهِ وليس لها نهاية عزم ان يزور قبر مار بطرس ومار بولس في رومية وباقي الاماكن المقدّسة . وكانت سنة اليوبيليون (١ على عهد اقليميس البـابا العاشر. وكان يؤمل ان تصير لهُ بعض مساعدات ويُشفى ايضاً من امراضهِ. فوصل الى رومية باتعـابٍ شديدة وتمّ بها ستة وخمسة اشهر. ومـا ساعدهُ احدٌ في رومية لانهم ظنّوا انهُ مثل بقية المطارين الذين قصدوا رومية ووجدوا المساعدات ورجعوا وما عملوا شيئاً . وقام ليرجع خائباً الى بلادهِ وهو خائف جدّاً لان الحكّـام يريدون دراهم والهراطقة مستعدّون ان يقتلوهُ. وكان الحزن في قلبهِ من جهة الذين تبعوهُ لئلّا ينظرهم آنسين ويخاف ان ينغلبوا من الضعف ومن الشيطان . فحوّل امرهُ الى الربّ والى مريم العذراء.

فاتفق من إحسان الله ومريم العـذراء انهُ تعارف مع مطران فرنساوي اسمهُ فرنسوا پيكاي (٢ فهذا اعطاه كم كيس من الدراهم . ولما جاء الى دياربكر

١) اليوبيلون هو اليوبيل اي الغفران الكبير اصلهُ من العبرانية . واليوبيل المذكور كان منحهُ البابا اقليميس العاشر سنة ١٦٧٥

٢) راجع ما قلناه في التوطئة

استدعاهُ الوالي وطلب منهُ كم كيس دراهم . فاعطاهُ ودخل الكنيسة وضبط الجماعة كما الاول وأجود وأخيَر. وبدأ يكرز ويعلّم تعاليم الكنيسة الرومانية . وهرب المطران داوود

ولكن بعد سنة رجع ايضاً هذا المطران الهرطوقي ورشا باثني عشر كيساً للباشا وللقاضي ولاشراف البلد ولبس الحلعة وجاء الى الكنيسة وضبطها وعزل مار يوسف . واما مار يوسف فمضى واختفى في بيت واحد من المؤمنين مقدار خمسة اشهر وكان ينتظر الفرصة المعيّنة من الرب لنجاته . وبعد خمسة اشهر انعزل الباشا وجاء باشا اخر ومضى اليهِ مار يوسف فالبسهُ الباشا الحلعة من دون معارضة واتى وضبط الكنيسة ففرحت جماعتهُ واصدقاؤهُ ومحبُّوهُ فرحاً عظيماً

وابتدأت الامور تصطلح في حقهِ . وبدأ الرب يعطيهِ التسلية جزاء عن ثباتهِ هذا المظلم . والهراطقة الذين ضاددوهُ انتقم منهم الباري تعالى اشدَّ الانتقام فنهم ماتوا ومنهم ابتلاهم الله بالفقر حتى انَّ مار يوسف كان يتصدَّق عليهم . والبعض تنوَّرت عقولهم واهتدوا الى الايمان . وداوود المطران النسطوري السكري انهزم الى مصر ولم يُعرف لهُ اثر الى هذا اليوم

ثمَّ ان مار يوسف رفع اسم البطريرك الشيخ الْيا من القدّاس ووضع اسم البابا خليفة مار بطرس ورفع كليًّا اسم نسطور من دياربكر . والشيخ الْيا ايضاً تيقَّن بانَّهُ ما عاد يقدر على مار يوسف فتركهُ

وبأحكام الله تعالى اتى الى دياربكر ماضياً الى العجم ذاك المطران الفرنساوي السابق ذكرهُ (١ فلما نظر جهاد مار يوسف وغيرتهُ على الايمان وكل الجماعة قد صارت قاتوليقية فرح كثيراً . وأرسل مكاتيب الى المجمع المقدس يمدح فيها جهاد وغيرة واستقامة هذا المطران مار يوسف المعترف بايمان القاتوليقي وطلب من المجمع ان يقيموهُ بطريركاً على جميع المسيحيين الراجعين من النسطرة الى الكاثوليكية في الشرق . فالمجمع المقدس أصغى الى هذا الالتماس وقداسة البابا ارسل لهُ الباليون وثبَّتهُ بطريركاً وصار يسمّى مار يوسف الاول ويُذكر اسمهُ في الصلوات . والرب نجح امورهُ واراحهُ من اعدائهِ

١) اي المطران فرنسوا بيكه . وقع ذلك سنة ١٦٨١ (راجع التوطئة)

وشاع صيتهُ في الشرق كله وابتدأت ان تقصدهُ جميع الطوائف لكي تتعلم منهُ وتأخذ ارشاداتهِ وما كان يفتر قط ليلًا ونهارًا وهو يعلّم قواعد الدين وارجع كثيرين من هراطقة اليعقوبيين والارمن والروم . وفي دياربكر ما كان يوجد كنيسة كاثوليكية الّا كنيسة الكلدان التي فتحها وثبتها في الدين الكاثوليكي بدمهِ وتعبهِ وعذاباتهِ ونظر اخيرًا بان الكل كانوا يخضعون لهُ ويلتئمون تحت رعايتهِ

وكان يقول دائمًا في كل حين بان العذراء مريم هي صارت السبب والمحامية والمنجحة هذا الايمان القاتوليقي ولولا شفاعتها وحمايتها لما كان ثبت ولا دقيقة على ما احتمل من اشدّ الظلم والقساوة والعذابات . وكان يقول للشعب دائمًا : كل من يحب ان يكون محبوبًا عند يسوع فليحب العذراء مريم . وكل من يريد ان ينتصر على اعدائه المنظورين والغير منظورين فليتمسّك في العذراء مريم . والذي يكون مستعدًا ان يسفك دمهُ حبًا بها فلا بدّ انها تنجيه من الخطية ومن الاعداء وتثبتهُ في الايمان القاتوليقي وتقودهُ الى الملكوت السماوي عند ابنها يسوع . وكان دائمًا يختم كارزتهُ(١ في تبجيل ومديح العذراء مريم . وكل دفعة كانوا يذكرون اسمها امامهُ كان يحني رأسهُ الى صدرهِ . وقد شاهدناهُ اوقاتٍ كثيرة لما كانوا ينكرون امامهُ والدتها لله او بتوليتها او بعض فضائلها كان وجههُ يلتهب مثل النار ويخفق قلبهُ من شدّة كدرهِ وحزنهِ وحالًا من دون مبالاة الخوف او الحرمة كان ياخذ في حمايتها وينصح ويوبخ ويبحث ويجادل ويُقنع المتكلمين في حقّها على غلطهم وكان يمتدح ويمدح الذين كانوا يمتدحون ويمدحون العذراء مريم ...

وبعد ما اصطلحت لهُ الاحوال واستقامت لهُ الامور مقدار عشرين سنة رسم قسوسًا وشمامسة ودفع عوائد كثيرة ادخلها الهراطقة . واتفق ان الرب ارسل لهُ من قرية تلكيف من نواحي الموصل رجلًا اسمهُ شماس صليوا (٢ وكان رجلًا فائقًا واديبًا وعالمًا باللغة السريانية اي الكلدانية . فاحبّه واخذه عندهُ وعلّمهُ قواعد الايمان الكاثوليكي ورسمهُ قسيسًا وسمّاه باسمهِ يوسف (٣ . وبعد زمانٍ رسمهُ مطرانًا

١) الكرزة اللفظة لفظة سريانية . والكاروز الواعظ والخطيب

٢) صليوا على اللفظ الكلداني كصّليا

٣) هو يوسف الثاني الذي خلف يوسف الاوّل على كرسي بابل في آمد

لكي يكون لهُ معاوناً وخليفةً · ثم كثرت على مار يوسف البطريرك الاوجاع وقلّ لا بل فُقِد نظرُ عيونهِ وما بقي يبصر وذلك لسبب العذابات التي كان قاساها · فسلّم امور الجماعة والكرسي الى خليفتهِ المذكور وقصد مدينة رومية لكي يقضي باقي عمرهِ بالعبادة في الاماكن المقدسة · وخرج من آمد اي دياربكر في شهر اب سنة ١٦٩٤ للمسيح ووصل الى رومية العظمى بتعبٍ ومشقات · وهنالك بشفاعة العذراء البتول انفتحت عيونهُ وشفي من اوجاعهِ وبدأ ينظر احسن من الاوَّل مثلما خبَّرنا في مكاتيبهِ بخط يدهِ كان يرسلها لمار يوسف الثاني وللحقيرِ كاتب هذه ترجمة حياتهِ

وهنالك سعى بان يُثبِت خليفتهُ مار يوسف الثاني بطريركاً ويأتيهِ الباليون (١ · كما في الحقيقة اتاهُ الباليون وتثبت من السدة الرسوليَّة · وبعد ثلاث عشرة سنة من وصولهِ الى رومية تنيَّح بالرب البطريرك يوسف الاوَّل براءحة القداسة وقُبِر في كنيسة مجمع انتشار الايمان المقدس وذلك في سنة ١٧٠٧ للمسيح · الرب يرحمنا بصلواتهِ المقبولة بشفاعة العذراء مريم عليها اشرف السلام وبشفاعة جميع القديسين · آمين

قد حرَّر هذهِ ترجمة مار يوسف الاول بطريرك السريان الشرقيين الكاثوليكيين اي الكلدان الحقير باسيليوس عبد الاحد مطران آمد · والرب شاهد علينا اننا لم نتجاسر نكتب شيئاً زائداً · بل كلما سمعناهُ من فمهِ شفاهيًا او من الشيوخ الذين كانوا شهود الحال وصارت الدعاوي في زمانهم وامامهم · وقد اقتصرنا في التعبير لئلا نعجز القارئين وقد حررناهُ في ٢٣ ايار الواقع في سنة ١٧١٩ للمسيح

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ختام سفارة الاب اليانو الثانية الى لبنان

وممَّا عُني بهِ الاب يوحنا اليانو في حلب قيامةً بامر الكردينال سان ساڤرينو

---

١) الباليون (pallium) هو درع الرئاسة الذي يمنحهُ الحبر الاعظم لكبار رؤساء الكنيسة

ارتداد السريان اليعاقبة الى طاعة الكرسيّ الرسوليّ مع بطريركهم داود شاه المقيم في ماردين

وهنا ينبغي ذكر شيء من تاريخ اليعاقبة لبيان مهمّة الاب اليانو . كان بطريرك اليعاقبة في زمنهِ اغناطيوس نعمة الله الماردينيّ المعروف بالبطرك نعمة اختارهُ اهل ملّتهِ لتلك الرتبة سنة ١٥٥٥ . قيل انهُ كان مائلًا الى الاتحاد مع الكنيسة الرومانيّة لكنّهُ لسوء حظهِ وقع في أشراك بعض علماء المسلمين فاتَّهموهُ بالكفر واصدروا عليهِ الحكم بالإعدام فحملهُ خوفهُ منهم على جحود ايمانهِ وتظاهر بالإسلام فنجا من الموت لكنّهُ لم يَنجُ من وخز ضميرهِ وتبكيت شعبهِ لهُ حتّى انّ العامّة كانت تتغنّى امامهُ بزجليّة نروي بعض ادوارها:

يا حبابي يا ساداتي	اسمعوا لي هل المقالاتِ
قمرنا انكسف نورهُ	وبقينا في الظلماتِ
هتكت الدين هتك الدينْ	بطرك نعمهْ يا مسكينْ
اخبارك شاعت لبرّ الصينْ	الى بلاد الفرنساتِ
بطرك نعمهْ ايش سوّيتْ	من بعد عزّك قد ذلّيتْ
مفاتيح السما ردّيتْ	على رب السماواتِ
كنت اخو الصفا شمعونْ	على ايدك يخبض المعمدونْ
والحسّاد صيّروك مجنونْ	مرمي في سوء الحالاتِ

فللنجاة من هذه الحالة السيئة فرَّ هارباً من دياربكر الى رودس ومنها الى رومية سنة ١٥٧٨ واعلن هناك بتوبتهِ وبخضوعهِ للكرسيّ الرسوليّ ووعد بافراغ جهدهِ لردّ طائفتهِ الى الديانة الكاثوليكيّة . وكان اخوهُ داود شاه بعد غيبتهِ أُقيم نائباً عنهُ في البطريركيّة اليعقوبيّة فكتب اليهِ نعمة يحرّضهُ على اتّباع الكنيسة الرومانيّة فوعدهُ داوود بذلك . فوكل الكردينال سان سفرينو الى الاب اليانو ان يتحقّق صحّة ايمان النائب داود شاه فاذا ثبت الامر يؤيد الحبر الاعظم انتخابهُ

فلمّا وصل الاب اليانو الى حلب وطلب ان يجتمع بداوُد شاه اخذ هذا يماطلهُ ويسوّفهُ ويعدهُ المواعيد العرقوبيّة ويعتذر اليهِ من ظلم الاتراك وانتقامهم منهُ اذا اجتمع بالقاصد الرسوليّ فينسبونهُ الى اتّباع الفرنج . وكان ارسل دستور ايمانهِ فوجدهُ

الاب اليانو ملتبساً غير واضح ومن ثمَّ تحقّق انهُ لا رجاء في الحاضر الى ارتداد اليعاقبة وان مواعيدهم لغايات زمنيّة ليس الّا

ثمَّ طلب البطرك نعمة من الحبر الاعظم ان يرسل وفداً آخر الى اهل ملّتهِ مؤكداً انهم يرتدّون الى الايمان المستقيم . فارسل البابا قاصداً رسوليًا ليونردو ابيلا اسقف صيداء مع ثلاثة رهبان يسوعيين سنة ١٥٨٣ فعادوا خائبين وعرفوا صحّة ما رواه الاب اليانو عن مكر اليعاقبة (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٢٥٦–٢٥٧)

لمّا الاب اليانو فاذ اتمَّ مهمّتهُ في حلب اراد الرجوع الى لبنان ليستمدَّ السفر ويلحق برفقتهِ في قبرس ويعود الى ايطالية . بيد انهُ بلغتهُ في تلك الاثناء رسالة من قبل رؤسائهِ في رومية تقدّموا فيها اليهِ بان يستأنف قصادتهُ الى بطريرك الاقباط في مصر . فلم يرَ بُدًا من الإذعان الى امرهم

لكنَّ المرسل الغيور لم يَنسَ مدّة اقامتهِ في حلب ما عُهد اليه من اختيار بعض احداث الموارنة ليرسلهم الى رومية كما اوصاه الحبر الاعظم ليتخرّجوا هناك على الآداب الكهنوتيّة وقد ذكر في رسالتهِ الى الكردينال كرافًا في غرّة آب ١٥٨٢ ان اهل حلب عرضوا عليهِ بعض اولادهم لهذه الغاية ويخصّ بالذكر واحداً منهم وجدهُ غاية في الذكاء كان ابوهُ كاهناً ولم يصرّح باسمهِ . ولعلّهُ هو ابرهيم جرجس الذي دخل بعد قليل في الرهبانيّة اليسوعيّة ومات شهيداً في مصوّع . وسنعود الى هذا قريباً

وكذلك اجتمع الاب اليانو ببطريرك الروم في حلب وفاتحهُ في امر اتّحاد الكنائس فوافقهُ البطريرك على نواياهُ لكنّهُ اكتفى ببعض المواعيد الطيّبة التي اتت بعد ذلك بمدّة بنتائج حسنة

ودَّع الاب اليانو الشهباء في العشر الاخير من آب سنة ١٥٨٢ وعاد الى طرابلس على طريق البرّ فاجتمع هناك بالاخ برونديتو ثم أبحر معه بعد قليل الى مصر(١) وكان وصولهُ اليها في اوائل تشرين الاوّل ونزل ضيفاً كريماً عند قنصل فرنسة الدعو بولس ماريانِي الذي كان سعى لدى الحبر الاعظم باستئناف السفارة لدى الاقباط لِما رآه في بطريركهم من الرغبة في الاتّحاد بالكنيسة الرومانيّة . ولدينا منهُ رسائل تاريخها

(١) لكنَّ الرؤساء استدعوا الاخ برونديتو وارسلوا الى مصر عوضهُ الاخ ماديو

٢٢ ت ١ وجّهها من القاهرة الى رئيسهِ العامّ والى الكردينالين كرافا وسان ساڤرينو يذكر فيها ختام سفارتهِ الى الموارنة وتفاصيل سفرهِ الى مصر مؤمّلاً من رسالتهِ الى الاقباط خيرًا

وكان الاب جوان برونو والاخ ماريو قضيا بعد سفر الاب اليانو الى حلب نحو ٨٠ يوماً في قبرس ينتظران سفر احدى السفن الى البندقيَّة وقد اصابهما في تلك الاثناء مصادرات من قبل الاتراك لم يَنجُوا منها الّا بدفع الغرامات الشاقَّة وكان وصولهما الى ايطالية في ايلول . وناب الاب جوان برونو عن الاب اليانو لدى الحبر الاعظم والكردينال كرافا بايضاح ما جرى من الامور في هذه السفارة الى الموارنة . فأعرب البابا غريغوريوس الثالث عشر عن سموّ رضاهُ من نتائجها الحسنة

امَّا الاب اليانو فبقي في مصر كسفير الحبر الاعظم لدى الاقباط الى آذار سنة ١٥٨٥ ابعد موت غريغوريوس الثالث عشر وجلوس خلفهِ سكستوس الخامس واصابهُ في تلك المدّة من ضروب المحن ما يطول شرحهُ وليس هو الآن من غرضنا . ثمّ رجع الى رومية فعهد اليهِ الحبر الاعظم رتُبة رئيس المعرفين (Grand Pénitencier) فقام براجباتها الى سنة وفاتهِ في ٣ آذار سنة ١٥٨٦

فصل

في تاريخ المدرسة المارونيَّة في رومية

في مبادئ المدرسة المارونيّة (١٥٧٨ ــ ١٥٨٤)

من أجلّ الخدم التي ادّاها الكرسي الرسولي للطائفة المارونيَّة انشاء مدرسة اكليريكيَّة يتخرَّج بها بعض أحداث الموارنة في كلّ الآداب الكهنوتيَّة حتَّى اذا اتقنوها يعودون الى وطنهم لبنان فيخدمون اهل ملَّتهم بكل امور الدين

وكان بطاركة الموارنة احسُّوا بحاجة طائفتهم الى كهنة متفقهين غيورين ذوي علم وتقىً يتهذَّبون في مدارس الغرب ليُحسنوا بعد رجوعهم الى الوطن خدمة رعاياهم . فن ذلك ما اخبر بهِ البطريرك الدويهي (ص ١٤٩) في تاريخ سنة ١٥١٥

• انّ رئيس الاراضي المقدسة فرنسيس سورياتو من البندقيّة بعد نهاية رئاستهِ قدم الى زيارة البطريرك شمعون الحدثي ثمّ سافر في ١٤ شباط الى رومية • فارسل معهُ البطريرك الحوري يوسف مع راهبين ليتعلّما اللغة اللاتينيّة ويدرسا تعليم الآباء الاطهار وعند وصولهم الى رومية كان البابا (لاون العاشر) عاقدًا مجمعًا كبيرًا في كنيسة القديس يوحنّا لاتران فقابلهم بغاية المجاملة والإعزاز وأمر ... بان ينزل قصّاد الكرسي الانطاكي عند الكردينال ستاكروس في كنيسة القديس اغسطين • . ثمّ كيف جرى تدريس اللغة السريانيّة في بلاد الغرب لمّا حضروا اقدأس الحوري يوسف بالسريانيّة فتعلّمها منهُ تاسيوس امبروسيوس

وفي عهد البطريرك ميخائيل الرزّي سنة ١٥٦٨ طلب هذا البطريرك عن يد رئيس القدس الشريف الاب جيرولامو دا فوسأتو من الحبر الاعظم القديس بيُوس الخامس • ان ينعم على الموارنة بدار في رومية تُجعل مدرسةً لأولادهم حتى اذا رجعوا متطلين الى اوطانهم قدروا ان ينفعوا بني ملّتهم • (الدويهي ص ٤٣٩) . فامر البابا رئيس القدس الاب فرنسيس ڤيشنسيوس (١ فسافر الى لبنان وخاطب رؤساء الطائفة في ارسال الشبّان ليتعلّموا برومية . لكن الامر لم يتمّ حينئذٍ

وكان الفضل في ذلك للحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر خلف القديس بيوس الخامس كما سبقت الاشارة اليهِ اذ اوصى الاب جوان باطشتا اليانو في سفارتيهِ الاولى (١٥٧٨) والثانية (١٥٨٠) بان يختار في لبنان فتيةً نجباء يأتي بهم او يرسلهم الى عاصمة الكثلكة حيث تُصرَف العناية في تربيتهم وتثقيفهم

وهذا ايضاً ما تحقّقهُ سفير الكرسيّ الرسولي بعد سفارتهِ الاولى اذ كتب في التقرير الذي قدّمهُ للحبر الاعظم انّ الواسطة الاولى الواجب اتخاذها لخير الطائفة المارونيّة • اصلاح اكليرسها وذلك بان يُستجلَب الى رومية عدد وافر من الاحداث او الشبّان ليتخرّجوا في الآداب الدينيّة حتّى اذا قفلوا راجعين الى وطنهم يخدمون بني ملّتهم بالامور الروحيّة •

١) وفي تاريخ الدويهي (ص ٤٣٩) « فرنسيس بنجنتين » (كذا)

وكان اوّل من انتخبهم الاب جوان باطشتا اليانو شابّين فطنين لبنانياً وقبرسياً ركبا البحر معهُ في آذار سنة ١٥٧٨ وهما جبرئيل سعد الادنيتي وكسبار القبرسي وكان الموكّل بهما الشدياق عازر القبرسيّ المار ذكرهُ وكان وصولهما الى رومية في حزيران من السنة . وقد ورد في تاريخ الدويهيّ (ص ٤٤٤ — ٤٤٥) انّ الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر • امر باحضار الولدين فباركهما وسُرَّ بهما كثيراً وطلب من الله ان يجعلهما غرسةً مباركةً وافتتاحاً مقدَّساً لتمجيد اسمهِ وانتشار امانتهِ في اصقاع الشرق وامر بان يقيما اوّلاً في مدرسة الاحداث الى ان يتمّ بناء مدرسة خصوصيّة للموارنة •

وقد ورد ذكر الشابين في احد مخطوطات المكتبة الواتيكانيّة (الموسوم بالعدد ٥٥٢٨ في الصفحة ٣١ — ٣٣) باللغة اللاتينيّة ما تعريبهُ : • جبرئيل سعد (Gabriel Felicis) من بان من ابرشيّة سيدة قنّوبين في جبل لبنان وهي ابرشيّة البطريركيّة المارونيّة . قدم الى رومية في ٨ حزيران ١٥٧٩ • وكان اذ ذاك عمرهُ ١٦ سنة

• كسبار غريب (؟) (Gaspar Peregrinus) اصلهُ من الاقفسيّة (Episcopia) من جزيرة قبرس ومن ابرشيّة شدرا وهو من الطائفة المارونيّة ايضاً قدم الى رومية في ٨ حزيران ١٥٧٩ • وكان اذ ذاك عمرهُ ١٣ سنة

امّا مدرسة الاحداث فكانت داراً مختصّة بالمتنصّرين المرتدّين حديثاً الى الدين المسيحيّ (dei Neofiti)

فانكبّ الشابّان على الدروس . وكانا يحضران مدارس الآباء اليسوعيين في المدرسة الرومانيّة (Collegio Romano) الذي انشأهُ القديس اغناطيوس دي لويولا فما لبثا ان تعلّما اللغتين اللاتينيّة والايطاليّة مع معرفتهما بالسريانيّة وكان جبرئيل يعرف العربيّة ايضاً وكسبار يتكلّم باليونانيّة الحديثة

فلمّا عاد الاب اليانو الى لبنان في سفارتهِ الثانية الحّ على البطريرك ميخائيل الرزي ثمّ على شقيقهِ وخلفهِ سركيس الرزي بان يلبّيا طلبة الحبر الاعظم ويختارا احداثاً آخرين ليَردوا في رومية منهل العلم ويتهذّبوا فيها بالسيرة الاكليريكيّة فوقع اختيار الاب اليانو على اربعة ممّن رأوهم اهلاً لذلك فاخذ المرسل القيود يهتمّ بأمرهم فكان

في أوقات الفراغ مدّة اقامته في قنّوبين يُعنى بتعليمهم مبادئ اللغة اللاتينيّة كما ذكر ذلك في رسالته المؤرخة في ١٩ تموز ١٥٨٠ للكردينال انطون كرافا. فلله من غيرة في ذلك الرسول الذي مع عظم رتبته كقاصد البابا اخذ على نفسه مهنة المعلّم للصغار

امّا هؤلاء الاربعة فقد ورد ذكرهم في المخطوطة الواتيكانيّة السابق ذكرها وهم :

١ً يعقوب بن سمعان (Jacobus Simeonis) الحصروني كان عمرهُ ١٩ سنة. ٢ً انطون فرنسيس (Antonius Francisci) الحصروني عمرهُ ١٦ سنة. ٣ً حنّا رئيس (والصواب دايس) بن يعقوب (Joannes Rais Jacobi) عمرهُ ١٥ سنة وهؤلاء الثلثة من ابرشيّة سيّدة قنّوبين وهي الابرشيّة البطريركيّة. ٤ً مرقس بن اسطفان الطوشي عمرهُ ١٨ سنة من جزيرة قبرس وابرشيّة شدرا. وقد وصل هؤلاء الاربعة الى رومية في ٢٧ شباط سنة ١٥٨١. وكانوا اتوا على طريق البندقيّة فرافقهم من قبرس الى رومية الخوري مارون بن اسطفان الطوشي. امّا الدويهي فقد روى في تاريخه (ص٤٤٤) انّ الذي صحبهم الى رومية هو الاب جوان برون رفيق الاب اليانو لكنّ هذا الاب لم يرجع الى ايطالية الّا في ايلول كما سبق. وتزل هؤلاء الاربعة مع الخوري مارون في مدرسة الاحداث برفقة التلميذين السابق ذكرهما ولم يلبثوا ان بلغوا مبلغهما من العلم بعد ان اعدّهم الاب اليانو بما القاهُ عليهم من الدروس في لبنان

وكانت البعثة الثالثة من الشبان الموارنة الى رومية في اواخر السنة ١٥٨٣. هذه قائمتهم منقولة عن المخطوطة الواتيكانيّة السابق ذكرها. ١ً موسى سعد العاقوري (دعاهُ الدويهي (ص٤٤٦) موسى العنيسيّ) من ابرشيّة العاقورة. ٢ً جرجس بن ميخائيل الاهدني من ابرشيّة اهدن (١ (وهو جرجس بن ميخائيل الشهير بابن عميرة الاهدني). ٣ً جبرئيل نعمة الاهدني من ابرشيّة اهدن (لم يذكرهُ الدويهي). ٤ً ميخائيل صليب (Michael Crucis) البلوقيّ من ابرشيّة قنّوبين (لم يذكرهُ الدويهي). ٥ً بطرس بن جبرائيل الطوشي من قبرس من ابرشيّة شدرا عمرهُ ١٤ سنة. ٦ً يعقوب بن ميخائيل من الاقفسيّة من قبرس من ابرشيّة شدرا عمرهُ تسع

---

١) تصحّح الاسم باللاتينيّة فقال de Herden., Diœcesis Herdenensis

سنين . ٧ً حنّا بن جرجس من ڤونو (Vuno) في قبرس ومن ابرشيّة شدرا عمرهُ ٨ سنوات . ٨ً جرجس بن انطون من الاقسيّة من قبرس من ابرشيّة شدرا والثلثة الآخرون لم يذكرهم الدويهي . وكان يرافق هؤلاء التلامذة الخوري يوحنّا بن أيوب الحصروني من ابرشيّة قنّوبين ثمّ الاخ يعقوب بن سركيس القس الراهب من حردين من رهبنة مار انطونيوس (دعاهُ الدويهي القس يعقوب الراهب الدويهي) . ومعهُ الاخ ابرهيم بن سمعان من عنيد (؟) (Anid) دعاهُ الدويهي بالشماس ابرهيم بن سمعان الادنيتي . وكان الكردينال كرافا استدعى الاوّل لتصحيح الكتب السريانيّة المنويّ طبعها . واستدعى الراهبَين الآخرين لنظارة المأوى الذي خصّهُ الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر لايواء الموارنة

وهؤلاء التسعة بلغوا رومية في ١٤ كانون الاوّل سنة ١٥٨٣ ليس في اوّلها كما ورد في تاريخ الموارنة (ص٤٤٦) وقال الدويهي هناك : « وبعد ان تشرّفوا بلثم مواطئ الحبر الاعظم طلبوا من غزيركرمهِ بيتاً لأجل مأوى الغرباء . وان ينعم عليهم بطبع بعض كتب للصلاة فرحّب بهم قداستهُ وامر بان يترل الطلبة مع رفقائهم في مدرسة الاحداث واماً غرباء الطائفة فاقام لهم منزلاً عند كنيسة مار يوحنّا المعروف بالتينة (١ »

وممّن ذكرهُ الدويهي (ص٤٤٦) ولم نجدهُ في المخطوطة الواتيكانيّة « سركيس ابن موسى اخي البطريرك سركيس (٢ » . ثمّ اردف قائلاً : « وفي السنة الثانية بعث البطرك اربعة شبّان غيرهم من موارنة حلب لاجل طلب العلم » لكنّهُ لم يذكر اسماءهم . وهذه الاسماء مصرّح بها في المخطوطة الواتيكانيّة : ١ً نيقولا ڤالنتان(٣ (Nicola Valentini) عمرهُ ١٣ سنة . ٢ً يوحنّا منصور عمرهُ ١٢ سنة . ٣ً جرجس منصور عمرهُ ١٢ سنة . ٤ً يوسف ايليّا عمرهُ ثماني سنين . وكلهم من حلب كانوا درسوا شيئاً من اللاتينيّة ويعرفون اللغة العربيّة وكان نيقولا يعرف ايضاً اللغة التركيّة . كان وصولهم الى رومية في شهر نيسان من السنة ١٥٨٤

---

١) يعرف بالايطاليّة باسم della Ficoccia

٢) ولعلّهُ يوجد تلميذ عاشر لم يذكرهُ الدويهي باسمهِ اذ قال انَّ عدد التلامذة المرسلين في تلك البعثة « كانوا عشرة »

٣) لعلّهُ ترجمة اسم « شديد »

وهنا لا بُدَّ ان نذكر شابَّين آخرين من الموارنة أُرسلا الى رومية سنة ١٥٨٢ ولم يُفدنا الدويهي والاب اليانو عن امرهما شيئاً . واسماهما مدوَّنان في سجلَّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة : اسم الاوَّل نيقولا جرجي (Nicola di Giorgi) . والثاني ابرهيم جرجي (Abraham di Giorgi) المولود في حلب سنة ١٥٦٣ . وكلاهما دخل في الرهبانيَّة اليسوعيَّة . كان دخول نيقولا في ٢٠ ايلول ١٥٨٢ . وابرهيم في ٢٨ كانون الاوَّل ١٥٨٢ . ولعلَّهما اخوان ولا نعرف من امر نيقولا شيئاً امَّا ابراهيم فهو الاب المكرَّم الذي بشَّر بالمسيح في الهند ثمَّ رحل الى الحبشة فقُتل شهيدًا في مصوَّع في ٤ ايار ١٥٩٥ وسنعود الى ذكرهِ . وكان لابرهيم اخ اسمهُ يوسف انضوى مثلهُ الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة ولا نعلم من اخبارهِ سوى ما ورد في احد مكاتيب الاب ابراهيم الى الرئيس العام الاب آكوافيفا في تاريخ ١٠ ك ١ سنة ١٥٩٣ يطلب منهُ ان يرسل اخاهُ يوسف الى الهند مع الكاهن الماروني موسى العنيسي تلميذ مدرسة الموارنة في رومية (له بقيَّة)

النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

وكان اكثر الحرير يأتي بهِ العرب من بلاد الروم. قال الاخطل (راجع ديوانهُ ص ٣٨٧)

بناتُ الروم في سرَقِ الحرير

والسَّرق واحدتهُ سَرَقة وهي شقائق الحرير او اجودهُ وقال في ذلك

يَرْفُلْنَ فِي سَرَقِ الفِرِنْدِ وقَزِّهِ   يَسْحَبْنَ من هُدَّابِهِ أذيالا

ومن الانسجة الثمينة التي كان يتزاحم عليها امراء العرب الدَّقْنيّ من مصنوعات اليمن قال الاعشى يصف بعض الاعيان (شرح المفضّليات ص ٥٢٨ ,ed. Lyall):

يَمْشُون في الدَّفْنيّ والأبرادِ

ومثلها السِّيَراء من برود اليمن الموشّاة المخطّطة التي يخالطها الحرير كالسُّيور كان يحيكها نصارى نجران ودومة الجندل. وفي الحديث انّ أُكَيْدِر بن عبد الملك النصراني صاحب دومة اهدى الى محمّد حُلّةً سِيَراء (التاج ٣ : ٢٨٧) . وكذلك عرف اهل مكّة الارجوان من مصنوعات سواحل الشام ورد ذكرهُ في تاريخ اليعقوبي (٢ : ٢٣) في وصف زينة نبيّ الاسلام وفي حديث الخليفة عثمان بن عفّان (النهاية لابن الاثير ٢ : ٧١) . وقد ورد في صحيح مسلم (٢ : ١٥٢) وصحيح الترمذي (١ : ٣٣١) وفي انساب البلاذري (٣٣٢) وغيرها ذكر حلل الديباج والثياب المُعَصْفَرة والحِبَر المفوّفة اي الرقيقة الوشاة والطيالسة التي كان يهديها الوفود من اهل اليمن ومن الرهبان الى صاحب الشريعة الاسلاميّة واكثرها من صُنع نصارى اليمن او الشام. قال ابن الاثير في أُسد الغابة في اخبار الصحابة (٢ : ٤١١) انّ عطارد بن حاجب الذي وفد على نبيّ الاسلام مع وجوه تميم النصارى وكان سيّداً في قومه اهدى محمّداً ثوب ديباج وروى المسعودي في مروج الذهب (٤ : ١٧٨) انّ ملوك اليمن قدموا الى ابي بكر وعليهم الحُلَل والحِبَر وبرود الوشي . وذكر ايضاً (١ : ٢٢١) الساج والطيلسان فيما فرضهُ خالد بن الوليد على النصارى العباديّين وزعيمهم عبد المسيح بن بقيلة من اهل الحيرة. وكذلك صاحب بانقيا بُصْبُهْرَى بن صَلوبا ذكر البلاذريّ في فتح البلدان (ص٢٤٤) انّهُ «صولح على الف درهم وطيلسان»

ومن منسوجاتهم ايضاً الطنافس والبُسُط والأنطاع . اتّخذوا بعضها لكسوة الكعبة قال البلاذريّ في الفتوح (ص٤٧) : «وكانت كسوة الكعبة في الجاهليّة الانطاع والمَعافر (والصواب المَعافر وهي منسوجات يمنيّة) فكساها الرسول صلعم الثياب اليمنيّة ثمّ كساها عمر وعثمان القباطيّ ثمّ كساها يزيد بن معاوية الديباج... وكساها بنو اميّة في بعض ايّامهم الحلل التي كان اهل نجران يؤدّونها» ومن

الطنافس الشهيرة الطنافس العبقرية التي كان يصطنعها نصارى تنوخ وقضاعة. قال ابن خلدون في تاريخه (٢ : ٢٤١) : «انّ التنوخيين نزلوا عَبقَرة من ارض الجزيرة ونَسج نساؤهم البرود العبقرية». وقال ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٩٠٧) ان عبقرة كان يوشى فيها البسط وغيرُها فنُسب كل شيء جيد الى عبقرة. وقال الفرّاء هي الطنافس الثخان. وقال مجاهد : العبقريّ الديباج. وقد ذكر المقريزي في الخطط مصانع البُسط في صعيد مصر ممّا كان يشتغله نصارى الاقباط في البهنسا. ودمياط وتنّيس ودابق. ذكر انّ بعض البسط كان يبلغ طوله ٣٠ ذراعاً وكان يباع الزوج منها مائتي مثقال ذهب. وروى انّ فسطاطاً صنعوهُ في تنيس منسوجاً بالذهب بيع بقيمة ١٤،٠٠٠ دينار ما يساوي اليوم من نقودنا نحو ٢٠٠،٠٠٠ فرنك وكانوا ينقشون على هذه البُسط صوراً شتّى من الرجال والسباع والخيل والطيور. وفي متاحف اوربة منها بقايا (Gayet : l'Art Arabe, 248-252) وكان البعض منها مصلَّباً اي منقوشاً عليها الصلبان (١. وروى في التاج في حديث جرير (١ : ٣٣٨) قوله : «رأيتُ على الحُسَين ثوباً مصلَّباً اي فيه نقش امثال صلبان»

﴿النجارة﴾ هي ايضاً احدى الصنائع التي شاعت بين النصارى فاستفاد منها العرب في الجاهليّة واوائل الاسلام وذلك لندورة الخشب في انحاء كثيرة من جزيرة العرب الّا اطرافها ولبُعد العرب عن العمران الحضري. قال ابن خلدون في المقدّمة (٢ : ٣١٣ طبعة باريس) : «انّ العرب ابعد الناس من الصنائع والسبب في ذلك انهم أعرق في البدو وأبعد من العمران الحَضَري. والعجم من اهل الشرق وامم النصرانيّة عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لأنهم اعرق في العمران الحَضري وابعد عن البدو» ثم ذكر كيف ان العرب استجلبوا صنائعهم من عند تلك الامم

وقد مرّ لنا شيء من اعمال النصارى الخشبيّة في جزيرة العرب منها ما سبق في ذكر القليس (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٥٢٥) وما دخل فيه من الاخشاب الثمينة كالسأسم والساج والابنوس اشتغلها النصارى فزيّنوا بها كنائسهم قبل الاسلام

ومثل ذلك ما رواهُ ابو الوليد محمّد الازرقيّ في كتاب اخبار مكّة (ص ١٠٥،

١) اطلب ايضاً H. Lammens : Fâtima, 70-74

١٠٧،١١٤) عن باقوم الروميّ النجّار والبنّاء الذي وكلت اليهِ قُرَيش بناء الكعبة بعد حريقها وتصدُّع جدرانها فبناها بما اشتراهُ القريشيُّون من الخشب الذي اقبلت بهِ سفينةُ الروم الى جُدَّة . وهم نصارى الاقباط والروم ايضاً الذين سقّفوا بالساج المزخرف المسجد الحرام في مكّة في ايَّام الوليد بن عبد الملك (الازرقيّ ص٣٠٦)

وممَّا صنعهُ النصارى في اوَّل الاسلام لخدمة نبيّهم وخلفائهِ الراشدين المنبر اصطنعهُ اوَّلًا روميٌّ نجّار كما روى ابو سعيد وقيل • انَّ اسمهُ باقوم او ياقول الروميّ غلام سعيد بن العاص • وقيل انَّ اسمهُ ابرهيم النجّار (اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير ١ : ٢٣) كان يجلس عليهِ محمَّد للجمعة

وكان في خدمة نبيّ الاسلام نصرانيّ آخر من لخمٍ اسمهُ تميم بن اوس الداري من نصارى لخم أسلم سنة ٩ للهجرة وخدم محمَّدًا وكان يسكن معهُ المدينة ويدعونه راهب الأمَّة (١ ثم اقطعهُ قرية عينون عند بيت المقدس (اسد الغابة ١ : ٢١٥)

ثمَّ اضافوا الى المنبر عرشاً كان يجلس عليهِ محمَّد اذا خطب كما جاء في طبقات ابن سعد (ج ٢ ق ٢ ص ١١) . وكان ايضاً من عمل النصارى . وبعد موت نبيّ المسلمين تودّد الخلفاء الراشدون في رقيّ المنبر وقد اخبر المقريزيّ (الخطط ٢ : ٢٤٧) ان عَمرو بن العاص اتَّخذ منبرا فكتب اليهِ عمر بن الخطَّاب يعزم عليهِ في كسرهِ ويقول• أمَا حسبُك ان تقوم قائمًا والمسلمون جلوس تحت عقبَيك• فكسرهُ . لكنَّهم ما لبثوا أن اقاموها في المساجد . روى المقريزيّ (٢ : ٢٤٨) عن والي مصر قُرَّة بن شريك العبسيّ انَّهُ نصب منبرًا جديدًا في السنة ٩٤ هـ(٧١٣م) . (قال) •وذُكر انهُ حُمل اليهِ من بعض كنائس مصر وقيل انَّ زكريًا بن برقنى ملك النوبة(النصراني) اهداهُ الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح وبعث معهُ نجّارًا حتَّى ركَّبهُ واسم هذا النجّار بقطر من اهل دندرة ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتَّى زاد قرَّة بن شريك في الجامع فنصب منبرًا سواهُ•

وكان العرب يلتجئون ايضاً الى اهل الارياف من الشأم واليمن والعراق فيتَّخذون

---

١) اطلب مجلَّة تاريخ الاديان Revue de l'Hist. des Religions, 1920. p. 250-252

من مجاريهم العَمَد والاوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسيّ والسهام لسلاحهم لأنَّ الخشب مادَّة لكلّ هذه كما بيَّن ابن خلدون في مقدّمته (٢ : ٣٢٩) ولا تصير الى الصورة الخاصَّة بها الَّا بالصناعة والقائم على هذه الصناعة هو النجَّار. وقد بقي من اعمال النصارى الدالَّة على براعتهم في هذه الحرفة عدَّة آثار تُرى في كنائس واديرة انطاكية الصعيد وطورسينا. والجزيرة ومنها ما تحوَّل الى جوامع ومنها المقاصير القديمة والشعاري والمشارب كان النصارى يهندسونها قديمًا وصبر بعضها على آفات الدهر

﴿ الحدادة ﴾ كما التجارة كذلك الحدادة خدم بها نصارى اليمن والشام والبحرين قبائل عرب البادية. وكان الحدَّاد يُدعى في الجاهليَّة قَيْنًا. والقيون عند العرب بنو اسد قيل انَّ اوَّل من عمل الحديد منهم كان الهالك بن عمرو بن اسد بن خزيمة فدعي ايضًا الحدَّاد بالهالكي. وممَّن ورد ذكرهم في اوائل الاسلام من ارباب الحدادة خُباب بن الارث من نصارى بني تميم سُبي من وطنه وبيع في مكّة فحصل في خدمة نبي المسلمين والخلفاء الراشدين من بعده توفّي سنة ٣٧ ﻫ (٦٥٨م)

وكان اكثر اتّخاذ العرب للحديد لتهيئة آلات حربهم اعني السيوف والدروع ونصال الرماح والسهام والخُوَذ. امَّا السيوف فمن اكرمها واشهرها المَشرفيَّات المنسوبة الى المشارف من قرى الشام. ومنها السيوف الحاريَّة وهي التي كان يصنعها نصارى الحيرة في العراق. ومنها السُّريجيَّات وكانت سيوفًا منسوبة الى قَيْن يُدعى سُريجًا مصغَّر سرجيس. وفيها يقول العجَّاج :

وبالسُّريجيَّات يَخْطِفْنَ القَصَرْ

وقد ذكروا سبعة من مشاهير السيوف زعموا انَّ بلقيس ملكة سبأ اهدتها الى سليمان الحكيم وفي ذلك دلالة على اهلها اليمن وهي ذو الفقار كان لنبه بن حجّاج فصار الى نبيّ الاسلام ثمَّ ذو النون والصمصامة كانا لعمرو بن معدي كرب ثمَّ مِخْذَم ورَسُوب كانا للحارث بن جبلة ملك غسّان النصراني ثمَّ ضرس الحمار وقيل ضرس العير او ضرس البعير كان لعلقمة بن ذي قيفان الحِمْيَري ثمَّ الكَشُوح ولم يذكروا صاحبه

امَّا الدُّروع فممَّا يدلُّ على علاقتها بالنصارى واهل الكتاب ان العرب ينسبون

مسجها الى داود وسليمان كما رويناهُ سابقاً (راجع الصفحة ٢٣٣و٢٧٢-٢٧٣) . وكل يعرف خبر الدروع التي اودعها امرؤ القيس الكندي الشاعر النصراني عند السموأل (اطلب ديوان السموأل الذي نشرناهُ آنفاً ص ٨) . وقد عُرف ايضاً اهل نجران بصناعة الدروع والدليل عليه انّ محمّداً صالحهم على ثلثين درعاً كما سبق . ومن دروع البحرين الرُّدَينيَّات نُسبت الى امرأة تدعى رُدَينة كانت تبيعها او تصنعها . ومنها ما كان يُنسج حلقتَين حلقتَين وهي المضاعفة قالت الخنساء تصف لأمة اخيها صخر :

اذا تلأم في زَغفٍ مضاعفةٍ وصارمٍ مثل لون الملْح جرَّادِ

امّا نصال الرماح والسهام فزعم الثعالبي في لطائف المعارف (ص ٧ ,ed. de Jong) انّ اوّل من عُمل لهُ سنان من حديد سيف ذو يزن الحميري واليهِ نُسبت الرماح اليَزَنيّة وانّما كانت اسنّة العرب صياصيَ البقر . والله اعلم وانّما يُرجّح الرأي بانّ اصل النصال من اليمن ومن الامم النصرانيّة المجاورة للعرب . وقد امتازت بين الرماح العربيّة السَّمهريَّات نسبةً الى سَمْهَر اسم رجل قيل انهُ زوج رُدَينة ورفيقها في الحدادة . ومنها الخطّيَّات وهي رماحٌ كانوا يستجلبونها من الخطّ وهو مرفأ للسفن في البحرين وعمان . وكذلك السهام الصاعديّة منسوبة الى قرية صَعْدة في اليمن على غير قياس

واتّخذوا ايضاً من الحديد الجواشن ومثلها الخوذ يقيمون بها رؤوسهم تعلّموها من الروم والفرس وهي البَيض . ثم انتشر استعمالها في بلاد الاسلام حتّى انّهم أحصوا ما في خزانة السفّاح اوّل خلفاء بني عبّاس فوجدوا خمسين الف درع وخمسين الف سيف وثلثين الف جوشن ومائة الف رمح . وزادت على ذلك في ايّام هارون الرشيد فاحصاها الفضل بن الربيع فوجد عشرة آلاف سيف محلّاة بالذهب وخمسين الفاً للشاكريّة والغلمان ومائة وخمسين الف رمح ومائة الف قوس والف درع خاصّة محلّاة والف درع عامّة وعشرين الف بيضة وعشرين الف جوشن ومائة وخمسين الف ترس واربعة آلاف سرج محلّاة خاصّة وثلثين الف سرج عامّة (مطالع البدور للغزولي ٢: ١٦٢)

(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

B. **Bareilles** : Un Turc à Paris (1806-1811). **Relation de Voyage et de Mission de Mouhib Effendi Ambassadeur de Sélim III,** *Paris, éd. Bossard.* 1920, *in*-16, *pp.* 106

رحلة محب افندي سفير السلطان سليم الثالث الى باريس

يذكر قرّاؤنا رحلة محمَّد سعيد باشا الى باريس في عهد لويس الخامس عشر التي نشرناها في المشرق (١٧[١٩١٤]: ١٠١ الخ) وما اودعها كاتبها من الاخبار المبهجة . فهذه رحلة ثانية اقرب الينا عهداً كتبها بالتركيَّة صاحبها محبّ افندي المرسل الى باريس في عهد نابوليون الاوَّل ليعقد معهُ عهداً باسم السلطان سليم الثالث فأسعد الحظ المسيو باريل على وجودها في الاستانة عند بعض الورّاقين فاسرع الى نقلها الى الفرنسويَّة ونشرها . فقد اطّلعنا على مضامينها فوجدناها صورة حيَّة للسياسة التركيَّة في معاملاتها مع الدول الاجنبيَّة وفيها ما فيها من وصف الاتراك لنابوليون ولحاشيته ودولته واخلاق الفرنج عموماً واهل باريس خصوصاً مع ذكر المعاهد العلميَّة والخيريَّة في العاصمة . وممَّا تفكّهنا بقراءته زيارة السفير التركي لمرصد باريس واندهاشهُ لدى نظرهِ القمر بالمرقب واستماعهُ شروح الفلكيّ لالند الشهير وعياذتهُ بالله خوفاً من ان يُفتَن بسحر كلامهِ او يقع الشكّ في قلبهِ من دينهِ

ل . ش

Soualah Mohammed : 1) Ibrahim ibn Sahl. Thèse produite à la Fac. des Lettres D'Alger. *Alger, A. Jourdan*, 1914. *in*-12, *pp.* 204 = 2) Une Elégie Andalouse. Thèse complémentaire, *ibid.*, 1914. *pp.* 144

ابرهيم بن سهل : حياتهُ وآثارهُ — رثاء غرناطة

هذه اوَّل مرَّة على ما نظنّ يتقدَّم فيها احد المسلمين في الجزائر تأليفاً ادبياً لينال بهِ امتيازات اللغة في الآداب . فسُررنا بذلك وفيهِ دليل حيّ على تقدُّم اهل الجزائر ومعارضتهم لمستشرقي الفرنج . وقد اطّلعنا على الكتاب وهو جامع لما ورد في التاريخ من سيرة ومنظومات احد شعراء الاندلس ابرهيم بن سهل المرتدّ عن اليهوديَّة الى

الاسلام فان المؤلف صوالح افندي محمّد لم يدع كتاباً الاّ راجعهُ واقتبس منهُ لتعريف المترجم وديوان شعرهِ وقد كتب ذلك باللغة الفرنسويّة ونقل اليها كثيراً من قصائد ابن سهل ولعلَّهُ كان أحسن لو ضرب الصفح عن بعض مقاطيعها البذيئة المستهجنة — امّا الكتاب الثاني الذي ألحقهُ بابن سهل فهو أدقّ معنًى وارقّ نظماً وفيهِ رثاء غرناطة يشبهُ الرثاء الذى اثبتناهُ في كتابنا مجاني الادب (٥ : ٢٣٦) وانتقدناهُ في كتاب علم الادب (ج١ص ٢٥٣) نقدًا بيانياً . ولعلّ رثاء غرناطـة لرائي الاندلس الرندي . فقد احسن صوالح افندي بطبعهِ ونقلهِ الى الافرنسيّة وتعليقهِ عليهِ عدّة ملحوظات تاريخيّة وادبيّة مع فهارس واسعة زادتهُ قيمةً ل . ش

Ben Cherif : AHMED BEN MOSTAFA Goumier. *Paris. Payat*. 1920, *in-16, pp.* 243

احمد بن مصطفى

احمد بن مصطفى احد الجزائريين الذين تطوّعوا في الحرب الاخيرة وابلوا فيها احسن بلاء وذهب ضحيّة بلاياها بعد ان وقع اسيرًا في ايدي الالمان . فاراد ابن شريف قائد قوّاد الجزائريين ان يخلّد ذكرهُ فكتب بالفرنسويّة هذا التأليف واودعهُ كثيراً من اخبارهِ ورسائلهِ وابرزهُ على صورة رواية خياليّة شرقيّة النمط ليزيد اقبال القرّاء عليها ل . ش

H, MASSÉ : ESSAI SUR LE POÈTE SAADI. Thèse pour le Doctorat ès-Lettres à la Fac. d'Alger. *Paris, P. Geuthner*, 1919. *in-8.pp.* 270 = BIBLIOGRAPHIE DE SAADI. *pp.* LVII

الشاعر الفارسي سعدي

وضع هذا الكتاب المسيو ماسه من طلبة كليّة الجزائر لينال درجة اللفنة في الآداب . وقد احسن باختيار موضوعهِ ألا وهو احد الشعراء المفلقين في فارس الشهير بسعدي الشيرازي (١١٨٥ — ١٢٩١ م) فانّ هذا الرجل قد تجوّل في اقطار عديدة وتقلّب في اطوار شتّى وتصوّف في القسم الاخير من حياتهِ ولهُ في كتاباتهِ اشارات الى كل امور زمانهِ . وقد امتاز شعرهُ الفارسي برقّتهِ وتفنّنهِ وصيتهُ لا يزال الى

يومنا شائعاً بين اهل العجم يردّدون منظوماته في كلّ معاهدهم . وقد تتبّع صاحب الكتاب آثار ذلك الرجل الشهير ولم يدع من احواله شيئاً الا امعن فيه النظر وانتقده بكل انصاف . وقد الحق بهذا الكتاب تأليفاً آخر جمع فيه لائحة الصفحات التي كُتبت عن سعدي البالغ عددها نحو الالفين . فنهنّئ الكاتب على وضعه هذا التأليف الجليل ونخصّ محبّي الآداب الفارسيّة على مطالعته ل . ش

Général Mangin. Comment finit la guerre. *Paris, Plon, XIII-330 pp., in-16, 11 Cartes.*

كيف انتهت الحرب

هذا الكتاب تاريخ عسكريّ للحروب الكونيّة الّفه احد اركان الحرب العالميّة الاخيرة الجنرال مانجان قائد الجيش العاشر . وممّا رمى اليه كتابه كما اوضحهُ في مقدّمته ان يردّ على اعتراض كثيرين من مواطنيه الذين زعموا انّ الحرب الهائلة التي انتشبت بين الدول كان يمكن تقصير مدّتها لاسيّما انّ الانتصار الاخير وقع بعد انكسارات متعدّدة فكان اذن ممكناً الانتصار النهائي بعد غارة المارن الاولى حيث ظفر الفرنسويّون بالالمان . فهذه المزاعم الوهميّة قد فنّدها الجنرال مانجان في هذا الكتاب حيث بيّن بالاجمال الحركات العسكريّة الاولى مع فشل الجيوش اوّلاً ثمّ انتصاراتها تالياً . ثمّ يتتبّع سلسلة الوقعات التي جرت بعد ذلك الى الفوز الاخير فيبيّن ما كان بينها من الارتباط الوثيق الى ان توقّفت العوامل الاخيرة فجاءت بالفوز الباهر في حرب لم يسبق لها شبيه في تواريخ العالم . وقد استحسنّا انشاء الكاتب الذي يستشفّ من ورائه خلق الجنديّ وعزمه اذ يسير توّاً الى غرضه ويعني في روايته على مثال مشاء سيفه فينفي كلّ اشتباه . ج . ل

Lazin (Paul) : L' HUMANISTE A LA GUERRE. Paris, in-16, pp. 249. 1920, Prix 7 fr.

الباقي في الحرب

الكتب العديدة التي وضعت في الحرب الاخيرة كلّها مشحونة بتفاصيل ويلاتها واهوالها وما هو ذا بيانيّ فكه النفس اراد ان يبيّن ما في الحرب من الحوادث المبهجة التي تشوّق اليها وتخفّف اعباءها . فالكاتب بول لازين سار الى ساحتها

باطمئنان واذ تولّى قيادة فرقة من الجنود نفخ في صدورهم الثقة بالفوز وهو يسعى ببسطهم وترويح افكارهم في معظم شدائد الحرب. وكان بأثنائها يرسل الى اهل بيته المكاتيب المفعمة بالاخبار المفكّهة التي يتهافت عليها قرّاؤها. فلمّا انتهت الحرب وعاد الى بيته جمع تلك الرسائل وصنّف بها كتاباً غاية في اللذّة بعبارة سلسة ومعانٍ مبتكرة لا تخلو احياناً من النظر الفلسفي البعيد وتفنّن البياني البارع بالكتابة ج ل

U. Zanotti-Bianco et Andrea Laffi. La Pace di Versailles. Note e Documenti con 20 carte etnografiche e politiche, *Roma, La Voce, Trinità Monti* 18., 1919, gr.- 8. *pp*.,250,*prix* 10 *lire*

معاهدة ڤرسايل

قد تعدّدت الكتابات في انتقاد معاهدة ڤرسايل وهذا الكتاب قد وضعهُ سياسيَّان من رجال ايطالية يعربان عن افكار مواطنيهما فهما يزعمان انَّ معاهدة ڤرسايل مضادَّة لما نشرهُ الحلفاء من التعهُّدات في اثناء الحرب فيستقريان فصول المعاهدة المذكورة التي قرَّرتها الشورى العليا فينتقدان على كلّ فصل منها ويقابلانها بالقرارات التي سبقتها في زمن الحرب. فلا بُدَّ لارباب الامر من النظر في هذه الاحتجاجات التي قدَّمها المؤلفان بدقّة فكر وايضاح وهي تتّفق مع ما كتبهُ الانكليزي كيس (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ١٠٣١) ويزين الكتاب خرائط حسنة

Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient (XVI^{e} - XIX^{e}- siècle). recueillis par le **P. Ant. Rabbath.** T II. fasc.3.publiés avec notes et tables par le **P. Fr. Tournebize S.J.** *Impr. Cath. Beyrouth*, 1921. *VII*-400-644

الآثار الخطيّة لتاريخ الكنائس الشرقيّة

كنّا نتمنى بعد وفاة المأسوف عليهِ الاب انطون ربّاط ان لا تبقى الكنوز الخطّيّة التي جمعها بكل عناء وفروغ الصبر مطمورةً في زوايا المكاتب ليستفيد منها محبّو تاريخ شرقنا العزيز. فسُررنا اذ عرفنا انَّ تكملة الكتاب عُهدت الى احد آباء كلّيتنا الذي هو مولع ايضاً بالآثار الدينيّة فنشر كثيراً منها. وها هو قد متّعنا بثمرة شغلهِ اذ نشر تتمّة المجلّد الثاني الذي كان الاب ربّاط طبع منهُ قسمين. فهذا القسم

الثالث يحتوي اربعة وثمانين اثرًا من كتابات الملوك والسفراء والبطاركة والمرسلين وارباب السياسة فهو كالاقسام السابقة معدن ثمين يُعرف به كثير من اخبار بلادنا العزيزة برواياتها الصادقة التي لا يستطاع نقضها. فنشكر حضرة ناشرها مع ما زاد عليها من الملحوظات الدقيقة والفوائد المختلفة ولاسيما الفهارس المطوَّلة. وممَّا نلفت اليه النظر بين تلك الآثار رسالة لاتينيَّة باسم البطريرك موسى العكّاري كتبها الى الامبراطور كرلوس الخامس (شرلكان) وامضاها هو واساقفته في ٢٥ آذار سنة ١٥٢٧م ل. ش

الفخري في الآداب السلطانيَّة لابن الطقطقى

عني بنشره يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر

بالمطبعة الرحمانية بمصر (سنة ١٣٣٩ ص ٣٥١)

هذا التاريخ الجليل الفائدة المشتمل على اخبار الدول الاسلاميَّة الى آخر دولة بني عبَّاس صار اشهر من نار على علم بعد ان طُبع اوَّلًا في المانية ثم في فرنسة ثمَّ في القاهرة وكأنَّ رواجه في مصر اوجب تجديد طبعه فقام بذلك الاديب يوسف افندي توما البستاني، فيالتهُ استفاد من الطبعات الاوربيَّة بعض محسَّناتها لاسيَّما طبعة المسيو درنبورغ المطبوعة بحرف مطبعتنا والمزيَّنة بالفهارس

ماذا عمل الخوري؟

بقلم الخوري منصور عوَّاد البحرصافي الماروني اللبناني

بيروت. المطبعة الكاثوليكيَّة سنة ١٩٢٠ (ص ٥٣)

قد تناقص اكليروس الشرق اجمالًا في ايَّام الحرب لينقذ البؤوسين من بلاياهم. فهذه البطريركيَّات والاسقفيَّات والرهبانيَّات والجمعيَّات الدينيَّة انفقت في سبيل المحتاجين ما لديها من المال او ما حصلت عليه من بيع ارزاقها او ما جمعتْ من اهل الاحسان ولو نُشر كلُّ ذلك مفصَّلًا لادهش الجميع وأفحم كلَّ المتشدقين التاسبين زوراً الطمع لارباب الدين. وكفى شاهداً على قولنا ما فعلهُ احد كهنة لبنان الافاضل حضرة الخوري بولس عوَّاد في مدَّة الحرب وبعـدهـا في رومية العظمى وايطاليـة وسورية لكي يضمد جراحات اهل الجبل وطنه العزيز. فدوَّن ذلك بهذه الكراريسة

ليس اكتساباً للفخر بل ليستنهض اريحيَّة مواطنيهِ ليؤازروهُ في اعمالهِ ويردّ للبنان عمرانهُ وزهوهُ. وها هوذا قد تولّى ادارة ميتم بجرصاف حيث جمع نيّفاً و ٧٠ ولداً يتيماً يتم بشؤونهم وتربيتهم مع مساعدة الدولة الفرنسويَّة لكنَّ همّتهُ القعساء لا تكتفي بذلك بل قصد ان يحرّك في سائر القلوب عواطف الحنان والوطنيَّة لكي يتّسع نطاق المشروعات الخيريَّة ويُمَدّ للبنان قومٌ نشطاء يقومون بعد قليل بكل ضروريّاتهِ الزراعيَّة والصناعيَّة. فنعم القصد وبارك الله همَّة حضرة الخوري الساعي بهِ وجازى خيراً كل من ساعدهُ على تحقيق نيّاتهِ
ل . ش

مختارات جرجي زيدان

جزآن الاوّل (ص ١٩١) والثاني (ص ٢٠٦)

طُبع في مصر في مطبعة الهلال (سنة ١٩١٩–١٩٢٠)

كان المرحوم جرجي زيدان من اغزر الادباء مادَّةً واكثرهم تفنُّناً واسرعهم خاطراً وقلماً كما تشهد عليهِ التآليف العديدة التي خلّفها منها ادبيَّة ومنها اجتماعيَّة وبعضها لغويَّة وكثير منها روايات خياليَّة ضمَّنها بعض حوادث التاريخ العربيّ فاقبل عليها القرَّاء ونُقلت الى عدَّة لغات. وقد اختار وهو في قيد الحياة من مآثرهِ المتبدّدة في مجموع الهلال عدَّة مقالات في فلسفة الاجتماع والعمران تحوي مباحث اخلاقيَّة وحكميَّة ونسائيَّة وسياسيَّة وادبيَّة نشرها مجلّة الهلال في هذين الجزئين لتسهل مراجعتها على طلّابها. وقد احسن في كثير منها الّا ان الآراء التي اكتسبها من تخرّجهِ في كليَّة بيروت البروتستانيَّة او راعى فيها احوال الزمان وذوق القرّاء فتطرّف فيها وهو يعدّ نفسهُ محقّاً. وفي بعض المقالات المنتخبة شيءٌ من ذلك نكتفي بالاشارة اليها ولا يصعب على ذوي البصيرة تمييزها. وما الكمال الّا لله
ل . ش

شذرات

﴿ نشيد المدارس الدينيَّة ﴾ الّفهُ حضرة الخوري مارون غصن على لحن « حتّى

ما هذا الجفا • فيحسن بطلبة مدارسنا الكاثوليكية بل عموم المدارس الدينيَّة ان يتغنَّوا بهِ ويتَّخذوهُ كشعار لحفظ آدابهم ونفورهم من المدارس اللادينيَّة :

رَبَّنا قد داهمتْنا هجماتُ الملحدينْ
تبتغي إقصاكَ عنّا خابَ سَعْيُ الجاحدين !..

كيف نرضى بالبِعادْ عنْ حمى الدِّينِ المبينْ
فهلمُّوا للجهادْ يا جميعَ المؤمنينْ

دينُنا مَجْدُ الجدودْ فاحفظوهُ للبنينْ
وافتدوهُ بالكبودْ فهو ذُخْرُ الذاخرينْ

دينُنا حِصْنٌ حصينْ خفقتْ فيهِ البنودْ
ولهُ في كلِّ حينْ حافظٌ ربُّ الجنودْ

أرُزنا رَمْزُ الثباتْ فاثبتوا يا دينينْ
واحفظوا حتَّى المماتْ كنْزَ إيمانٍ ثمينْ

عزِّزوا كلَّ المدارسْ بتعاليمِ المسيحْ
وَاقْتَدْ بينَ الكنائسْ وَحدَةَ الدِّينِ الصحيحْ

رَبَّنا أحفظْ للبلادْ دينَها السامي المنيرْ
وَلْيَدُمْ نورُ الرشادْ فوقَ لبنانَ الكبيرْ

﴿برصليبي وكتاب الكهنوت﴾ نشر حضرة القس يوسف حبيقة ردًّا على قولنا في نسبة كتاب الكهنوت لموسى بركيفا • فقال حضرتهُ انَّهُ طالع نسخة دير الشرفة فوجد فيها ذكر ديونيسيوس وكتابهِ في الكهنوت فاستنتج انَّ ديونيسيوس هذا هو ديونيسيوس برصليبي من كتبة القرن الثالث عشر ومن ثمَّ خطَّأنا في نسبة النسخة الى بركيفا الذي سبقهُ بثلاثة قرون • فليسمح لنا حضرتهُ ان نسألهُ كيف تحقَّق انَّ ديونيسيوس المذكور هو ديونيسيوس برصليبي • وليس هناك ما يدلُّ عليهِ •

أفلا يعلم انَّ في مجموعة الآباء اليونان عدَّة تآليف منسوبة الى ديونيسيوس الاريوباجي تلميذ القديس بولس من جملتها كتابةٌ في النظام الكنسيّ وفي الكهنوت(١) ؟ فاعتراضهُ اذن لا سند لهُ. وان امكنهُ ان يثبت صحة قولهِ أفينتج عن ذلك انَّ الكتاب الذي نشرهُ باسم القديس يوحنا مارون هو لهذا المؤلّف. فهيهات ان يقنع بهِ احداً من العلماء

﴿اليهود والبلشفيَّة﴾ نشرت جريدة مورننغ پوست الشهيرة خلاصة كتاب، طُبع في نيويرك بهمّة جمعيَّة الوَحدة الروسيَّة، يؤخذ منها انَّ الحركة البولشفيَّة في ايدي العنصر اليهوديّ. وهذه بعض الاحصاءات الرسميَّة الدالَّة على ذلك فانَّ عمّال الدولة البولشفيَّة في روسيَّة يبلغ عددهم ٥٠٣ منهم ٤٠٦ يهود و ٢٩ روسياً فقط والباقون من عناصر وامم شتَّى. ثم انَّ الشورى العليا تتألف من ٢٢ مستشاراً اليهود بينهم ١٧ امَّا الروسيُّون فثلثة فقط لينين وشيشرين ومُنديلستام مع ارمنيَّين. امَّا الديوان الحربيّ الذي يرأسهُ تروتسكي فجمل اعضائهِ ٤٣ شخصاً ليس بينهم روسيّ واحد ويتركب من ٣٤ يهودياً وثمانية ليتونيين والمانيّ واحد. وكذلك وزارة الخارجيَّة المتألفة من ٦٤ عضواً يديرها اليهودي زينوڤياف وفيها ٤٥ يهودياً وروسيَّان فقط مع بعض الليتونيين والالمان والارمن. ومثلها وزارة الخارجيَّة اعضاؤها ١٧ منهم ١٣ يهودياً وروسيَّان فقط احدهما شيشرين. ومثلها ايضاً العادلية التي اعضاؤها ١٩ كلهم يهود الا الماني واحد. والمعارف يديرها ٤١ يهودياً من جملة ٥٣ عضواً وقس على ذلك بقيَّة الدوائر السياسيَّة واللجنات والشركات !!!

﴿ترقّي الكثلكة في الولايات المتَّحدة﴾ قلنا (في الصفحة ٩٢) انَّ عدد الكاثوليك في الولايات المتَّحدة يبلغ نحو ٢٤،٠٠٠،٠٠٠ وقد بلغنا الاحصاء الرسميّ الاخير (Census Bureau) فاذا فيه عدد الكاثوليك ٢٥،٠٠٠،٠٠٠ فليس هناك طائفة او شيعة اخرى تبلغ هذا العدد فتكون الزيادة في العشر السنين الاخيرة خمسة ملايين. وللكاثوليك في تلك الولايات ١٧،٠٠٠ كنيسة او معبد بزيادة سبعة آلاف ولهم ١٠،٠٠٠ مدرسة يتعلّم فيها ٣٠٠،٠٠٠ تلميذ. وفي ولاية نيويرك وحدها ٣،٥٠٠،٠٠٠ من الكاثوليك

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسماني (١٢:٣)

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد الادباء ان نفيده نبذةً عن تاريخ دير المخلّص ومن غايتهِ وبروغرام الدروس التي تُلقى فيهِ

تاريخ دير المخلص وغايتهُ وبروغرام دروسهِ

قد مرَّ تاريخ هذا الدير وغايتهُ في ترجمة منشئهِ الطيّب الذكر المطران افتيميوس صيفي (المشرق ١٤[١٩١١]:٦٤٣-٦٥٨) امّا بروغرام دروسهِ فيُطلب من مقامهِ

س وسأل حضرة الخوري جرجس ابي سمراء : ١ً معنى آية نشيد الاناشيد (٧ : ٤) : «وانفكِ كبرجِ لبنان الناظر الى دمشق» . ٢ً هل رُزق ايّوب البار بنيهِ السبعة وبناتهِ الثلاث بعد محنتهِ من زوجتهِ الاولى او من سواها . ٣ً كيف تُعلّل حياة يونان في بطن الحوت أكانت طبيعيةً او هي اعجوبة . ٤ً اين بنى نوح فلكهُ ؟

اربعة اسئلة كتابيّة

ج نجيب على الاوّل اراد الكتاب وصف حُسن العروس السرّية والانفُ يوصف في المشرق بالشمم والارتفاع فشبّهُ باحد الصروح اللبنانيّة . واراد بتوجيههِ الى دمشق انتصابهُ في وجه العدوّ . ٢ً لم يذكر الكتاب الكريم في سفر أيوب أنّهُ اقترن بغير امرأتهِ التي سبقت زمن محنتهِ . ٣ً لا شكّ في انّ حياة يونان في بطن الحوت كانت اعجوبةً . نعم انّ ابتلاع بعض كبار الحيتان للبشر بل للخيل وغيرهما جرى غير مرة . وانّما وجدوها في بطونها ميّتة مع سلامة بنيتها . ٤ً يزعم البعض انّ نوحاً بنى سفينتهُ في سواحل الشام قريباً من يافا ولا يمكن القطع بذلك

س وسأل الاديب يوسف افندي مدوّر من القاهرة ما رأينا في ميتة اللورد ماك سويني محافظ كيورك ألا تُعدّ انتحارًا ؟

أتعدّ ميتة اللورد ماك سويني انتحارًا

ج من المعلوم انّ اللورد ماك سويني كان كاثوليكيًّا عاملًا واظب على الاسرار في حبسهِ الى آخر حياتهِ ولم يكن ليُسمَح لهُ بذلك لو عُدّ صومهُ انتحارًا . وقد قُوبل فعلهُ بفعل من يضحّي حياتهُ للخير العام فانّهُ رأى بامتناعهِ عن الاكل احتجاجًا على من اقتسروهُ وحبسوهُ ظلمًا وعدّهُ داعيًا لنهضة أمّتهِ للدفاع عن حقوقها المهضومة . وعلى كل حالٍ ننتظر حكم الكرسي الرسولي في امرهِ .

ل . ش